

اللطائف  
ابو الفرج ابن الجوزي

[To PDF: http://www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

## المقدمة

قال الشيخ الإمام العالم الحافظ، إمام وقته، وفريد عصره، وعلامة دهره، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: الحمد لله على ما يوليه، حمدا يرضيه، وصلى الله على من اجتمعت كل المعالم فيه، وقرن اسمه باسم الحق عند الذكر ويكفيه، وعلى آله وأصحابه وتابعيه. هذا الكتاب رقت عباراته، ودقت إشارته، نثرته عند الإملاء نثرا من فنون، فهو نصيب أكف لا تلتقط الدون، جعلته طرازا على ثوب الوعظ، وفصا لخاتم اللفظ، يعمل في القلب قبل السمع، وغلى الله الرغبة في النفع.

## الفصل الأول

### في قوله تعالى هو الأول والآخر

لا بصفة الأول يحكم له مبدأ، ولا بالآخر صار له منتهى، ولا من الظاهر فهم له شح، ولا من الباطن تعطل له وصف، خرست في حضرة القدس صولة لم؟ وكفت لهيبة الحق كف كيف؟ وغشيت لأنوار العزة عين عين الفكرة، فأقدام الطلب واقفة على حمى التسليم، جل عن أشباه وأمثال، وتقصد عن أن تضرب له الأمثال، وإنما يقع الإشتباه والإشكال، في حق من له أنداد وأشكال، المشبه ملوثن بفرت التحسيم، والمعتل نجس بدم الجحود، ونصيب الحق من بين فرت ودم لبن خالص، هو المتزهر لا يقال: لم لفعله؟ ولا متى لكونه؟ ولا فيم لذاته؟ ولا كيف لوصفه؟ ليس في صفاته أين؟ ولا مما يدخل في أحديته من طالع مرآة صمديته دلته صفاقها على التثريه، وعلم أنه لا ينطبع فيها شبح الشريك، ولا خيال التشبيه. "تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله فتهلكوا" إذا استقبل الرمد الريح فقد تعرض لزيادة الرمد. جاء البعوض إلى "سليمان" عليه السلام يشكو من الريح، فاستحضر سليمان الريح، فذهب البعوض، فقال "سليمان" إلى أين؟ فقال: لو كان لي قوة الثبوت معها ما شكوت منها.

## الفصل الثاني

في ذكر نبينا عليه الصلاة والسلام لما رأى نبينا صلى الله عليه وسلم تخليط القوم في دعوى الشركن فر في بادية العرب، فتحرى غار حراء للفراغ، فراغ إليه، فجاء مزاحم اقرأ يا راهب الصمت، تكلم لسان

العجر البشري: لست بقارىء، أنا بالأمس في حجر حجر حليلة، ودخلت في موت أبي في كفالة أبي طالب، فحم لما حمّ، فزرم بلطف زملوني، فعاد طيف اللطف ينعت الراقد: "يا أيها المزمّل" قم يا أطيّب ثاركن، يا محمولا عليه ثقل قل، يا من خلج عليه خلعة "قم فأنذر" ومن تحركت لتعظيمه السواكن فحن إليه الجذع، وكلمه الذئب، وسيح في كفه الحصا، وتزلزل له الجبل، كل كنى عن شوقه بلسانه. عجب القوم من علو منزلته، فقالوا بألسنة الحسد "لولا نُزِلَ هذا القرآن" والقدر يقول: ما هذا التعجب من نخلة بسقت والأصل نواة؟ "ألم نخلقكم من ماء مهين" مرضوا لقوة داء الحسد فأروه بغير عينه فقالوا: مجنون، يا محمد: هذا نقش يرقاهن لا لون وجهك، يا جملة الجمال، يا كل الكمال، أنت واسطة العقد، وزينه الدهر، تزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر، والسماء على الأرض. أنت صدرهم وبدرهم، وعليك يدور أمرهم، أنت قطب فلکهم، وعين كنيهم، وواسطة قلاذهم، ونقش فصهم، وبيت قصيدتهم، شمس ضحاها، هلال ليلتها، در مقاصيرها، زبر جدها. الخلائق أشخاص، والأنبياء قلوب، ونبينا عليه الصلاة والسلام سرهم. لما أخذ في سير أسرى، فنقل إلى المسجد الأقصى، خرج إليه عباد الأنبياء من صوامعهم، فاقتدوا بصلاة راهب الوجود، لو كان "موسى وعيسى حين" أمطها عنك يا عمر، أمع الشمس سراج".

بعث بالحنيفية السمحة، كانت شرائع الأنبياء كرمضان الصوم، وشرع نبينا يوم العيد، عرضت عليه الجنة والنار حتى عرف الطبيب العقاقير قبل تركيب الأدوية، فل غرب سيف "أَجْعَلُ فيها" ليلة المعراج ظنت الملائكة أن الآيات تختص بالسماء، فإذا آية الأرض قد علت، لا عجب من ارتفاع صعودهم لأنهم ذوو أجنحة، إنما العجب من ارتفاع جسم طبعه المهبوط بلا جناح جسدي، كان جبريل عليه السلام دليل الفلاح، فلما وصل إلى مفازة ليس فيها علم يعرفه، علم ابن أجود أن الصدق أجود، فقال: ها أنت وربك.

وقع في بادية القرب، فأوجبت هيبة التعظيم أن خرس لسان الطبع، فقال: لا أحصي ثناء عليك، كادت الهيبة تلهيه لولا أن تدورك برش ماء: السلام عليك، فإذا قامت القيامة، فموسى صاحبه، وعيسى حاجبه، والخليل أمير جنده، وآدم ينادي بلسان حاله: يا ولد صورتي، يا والد معناني.

### الفصل الثالث

في ذكر آدم عليه السلام إياك والذنوب فإنها أذلت أباك بعد عز "اسجدوا" وأخرجته من أقطار "اسكن" مذ سبى الهوى آدم هوى، دام حزنه، فخرج أولاده العقلاء محزونين، وأولاده السبايا أذلة، أعظم الظلمة

ما تقدمها ضوء، وأصعب الهجر ما سبقه وصل، واشد عذاب الحب تذكاره وقت القرب، كان حين إخراجها لا تمشي قدمه، والعجب كيف خطا.

وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمُدَّ خَفِيَّتِ  
عَنِّي الطُّلُوبُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ

واعجبا لجريل بالأمس يسجد له واليوم يجر بناصيته، والمدنف يقول: ارفق بي:

يَا سَائِقَ الْبَكَرَاتِ اسْتَبِقِ فَضْلَتَهَا  
عَلَى الرَّوِيِّ فَظْهَرِ الْبَكْرِ مَقْعُورِ

الأسى لأيام الوصال، واللسان يقول: يا ويلتاه والقلب ينادي: يا لهفاه

مِنْ مُعِيٍّ أَيَّامَ جَمَعٍ عَلَى مَا  
كَانَ مِنْهَا وَأَيْنَ أَيَّامُ جَمَعٍ

طَالِبًا بِالْعِرَاقِ يَنْشُدُ هِيَهَاتُ زَمَانًا أَضَلَّهُ بِالْجَزَعِ

كم قصة غصة بعثها مع بريد السر لا يدري بما سوى القلب، مكنونها التأسف، ومضمونها التلهف.

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ  
تَحْمِلِ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ سَلَامِي؟

وَإِنِّي لِأَهْوَى أَنْ أَكُونَ بِأَرْضِهِمْ  
عَلَى أَنَّي مِنْهَا اسْتَفَدْتُ غَرَامِي

أخذت صعداء أنفاس آدم من ذكر "وعصى" تحرقه لولا أنه تدارك الحريق بمياه "فتاب عليه".

قُلْ لِحَيْرَانَ الْغَضَا أِهْ عَلَى  
طَيْبِ عَيْشٍ بِالْغَضَا لَوْ كَانَ دَامَا

حَمَلُوا رِيحَ الصَّبَا نَشْرُكُمْ  
قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَ شَيْحًا وَتَمَامَا

فكان كلما عين الملائكة تنزل من السماء تذكر المرتع في المربع، فتأخذ العين في إعانة الحزين:

رَأَى بَارِقًا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ فَرَاعَهُ  
فَبَاتَ يُسْحُ الدَّمْعُ وَجَدًّا عَلَى وَجَدٍ

فِيَا شَجَرَاتِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ  
سَقَاكِ هَزِيمَ الْوَدْقِ مُرْتَجِسُ الرَّعْدِ

كان عند رؤية الأملاك يذكر إقطاعه الأملاك، فيكاد مما يأسى، يجعل الرجاء يأسا، ثم قام بعد مراكب المحنى يمشي إلى أرض منى، فلولا تلقن الكلمات مات.

هَلِ الْأَعَصِرُ اللَّاتِي مَضِينَ يَعْدُنَ لِي كَمَا كُنَّ لِي أُمَّ لَا سَبِيلَ إِلَى الرَّدِّ

واعجبا لقلق ابن آدم بلا معين على الحزن، هوام الأرض لا تفهم ما يقول، وملائكة السماء عندها بقايا "أتجعل فيها" فهو في كربه بلا رحيم

أَلَا رَاحِمٌ مِنْ آلِ لَيْلَى فَأَشْتَكِي  
لَهُ مَا بِقَلْبِي حَتَّى يَكِلَ لِسَانِي

بُكَاءُ آدَمَ لِفِرَاقِ الْجَنَّةِ لَا كِبْكَاءِ غَيْرِهِ

وَكَانَتْ بِالْعِرَاقِ لَنَا لَيَالٍ      سَرَقْنَاهُنَّ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ

ما كان هذا القلق لنفس الدار، بل لأجل رب الدار "وما بي لابان، بل من داره البان".

صُحْبِي مَضُوا فَمَدَامِعِي      مُنْهَلَّةٌ مِنْ إِثْرِ صَحْبِي

مَا فَوْقَ الْهَجْرَانُ سَهْمًا      فَانْتَنِي عَنْ قَصْدِ قَلْبِي

كَلَّا وَلَا نَادِي الْجَوَى      إِلَّا وَكُنْتُ أَنَا الْمَلْبَى

وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَنِي      لَوْلَا الْمُنَى لَقَضَيْتُ نَحْبِي

قال "وهب بن منه" رضي الله عنه: سجد آدم عليه السلام على "جبل الهند" مائة عام يبكي حتى جرت دموعه في "وادي سرنديب" فنبت من دموعه "الدارصيني" و "القرنفل" وجعل طوير الوادي الطواويس، ثم جاء جبريل عليه السلام فقال: ارفع راسك فقد غفر لك، فرفع رأسه ثم طاف بالبيت اسبوعا فما أتمه حتى خاض في دموعه.

دُمُوعُ عَيْنِي مَذَقَذَّ بَيْنَهُمْ      مَثَلُ الدَّوَالِي أَوْهَنَ الدَّوَالِي

كان "آدم" "يعقوب" البلاء جرى القضاء برزله، فما ذنب اللقمة.

ولكن ظفرتهم بالمحبين فارحموا قدح أريد انكساره، فسلم إلى مرتعش لو لم تذنبوا واعجبا.

كان يبكي للدار مرة وللجار ألفا، والفراق يقلقل، والبعاد يزلزل

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى طَيْبٍ وَصَلُّكُمْ      كَمَا اسْتِثْقَانُ نَحْوِ الدَّارِ مَنْ طَالَ لَفْتُهُ

سَأْبُكِي الدِّمَا شَوْقًا إِلَى سَاكِنِ الْحِمَى      فَأَفْنِي بِهِ كَنْزَ اصْطِبَارِ ذَخْرَتُهُ

وَلَمْ أَبْكِ بَعْدَ الدَّارِ عَنِي وَإِنَّمَا      بَكَيْتُ لَصَبْرٍ كَانَ لِي فَعَدِمْتُهُ

إِذَا كَانَ دَمْعُ الْعَيْنِ بِالسِّرِّ شَاهِدًا      فَلَيْسَ بِخَافٍ فِي الْهَوَى مَا جَحَدْتُهُ

## الفصل الرابع

### في صفة الربيع

إذا تأملت الأرض من زوج القطر، ووجدت لفقده مس الجذب، أخذت في ثياب "فترى الأرض هامدة" فإذا قوي فقر القفر، ألقى مد أكف الطلب يستعطي زكاة السحاب، فساق الصانع بعلا يسقي بعلا، فثارت للغياث مثيرة، فجاء الغيث بلا مثيرة "فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ" وتأثير صناعة المعلم في البليد أعجب. فلبس الجو مطرفه الأدكن، وأقبلت خيالة القطر شاهرة سيوف البرق، فأخذ فراش الهوى، يرش جيش النسيم، فباحث الريح بمكنون المطر، فاستعار السحاب جفون العشاق، وأكف الأجواد، فامتألت الأودية أثماراً، كلما مستها يد النسيم حكى سلسالها سلاسل الفضة، فالشمس تسفر وتتنقب، والغمام يرش وينسكب "انعقد بعقد الزوجين عقد حب الحب" فلما وقعت شمس الشتاء في الطفل، نشأ أطفال الزرع فارتبع الربيع أوسط بلاد الزمان، فأعار الأرض أثواب الصبا، فانتبهت عيون الأرض من سنة الكرى، ونهضت عرائس النبات ترفل في أنواع الحلل، فكأن النرجس عين، وورقه ورق، فالشقائق يحكي لون الخجل والبهار يصف حال الوجل، والبنفسج كآثار العض في البدن، والنيلوفر يغفو وينتبه، والأغصان تعتنق وتفترق، والأراييج قد ثبت أسرارها إلى النسيم فتم، فاجتمعت في عرس التواصل فنون القيان، فعلا كل ذي فن على فن، فتطارحت الأطيوار مناظرات السجوع، فأعرب كل بلغته عن شوقه، فالحمام يهدر، والبلبل يخطب، والقمرى يرجع، والمكاء يغرد، والمهدهد يهدد، والأغصان تتمايل كلها تشكر للذي بيده عقدة النكاح، فحينئذ تج خياشيم المشوق ضالة وجده.

حَبِّدَا مِنْ أَجْلِهَا الْبَانُ	لِي بِذَاتِ الْبَانِ أَشْجَانُ
مِنْ نَسِيمِ الْفَجْرِ رِيْعَانُ	حَبِّدَا رِيَّاهُ يَوْقِظُهُ
رَتَّحْتَهَا مِنْهُ أَغْصَانُ	حَبِّدَا وَرُقَ الْحَمَامِ إِذَا
فِيهِ أَسْجَاعٌ وَأَلْحَانُ	دَاعِيَاتٌ بِالْهَدِيلِ لَهَا
لَيْسَ إِلَّا الشَّوْقُ تَبْيَانُ	أَعْجَمِيَّاتٍ إِذَا نَطَقَتْ
هَاجَنِي لِلذِّكْرِ أَحْزَانُ	كُلَّمَا غَنَيْتَنِي هَزَجًا
طَرَبِي فَالْكُلُّ نَشْوَانُ	مَالِ بِي مَيْلِ الْغُصُونِ بِهَا
وَجَدْنَا إِذْ نَحْنُ جِيرَانُ	يَا حَمَامَ الْبَانِ يَجْمَعُنَا
بَيْنَ أَهْلِ الشَّوْقِ كِتْمَانُ	تُحْنُ بِالشُّكُوَّةِ إِلَيَّ فَمَا
وَاحِدًا وَالْوَجْدُ أَلْوَانُ	يَتَشَاكِي الْوَاجِدُونَ جَوَى

أَنَا مَخْلُوسُ الْقَرِينِ وَأَنْتُنَّ أَزْوَاجٌ وَأَرْقِرَانُ  
وَبَعِيدُ الدَّارِ عَنِّ وَطَنِي  
لَا تَزِدْنِي يَا عُدُولُ جَوِي  
وَلَكِنَّ الْبَانُ أَوْطَانُ  
أَنَا بِالْأَشْوَاقِ سَكَرَانُ

## الفصل الخامس

### يذكر فيه إشارة من حال سلمان الفارسي

سابقة الأزل قضت لقوم بدليل "سَبَقَتْ" وعلى قوم بدليل "عَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا" فوأسفنا، أين المفر؟ توفيق "سَبَقَتْ" نور قلوب الجن "فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا" وخذلان "عَلَبَتْ" أعمى بصائر قريش فقالوا "أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" أهل الشمال في جانب جنون البعد، وأهل اليمين في مهب شمال القرب، ما نفعت عبادة "إبليس" و "بلعام" ولا ضر عناد السحرة. وحد "قس" وما رأى الرسول، وكفر "ابن أبي" وقد صلى معه، مع الضب ري يكفيه ولا ماء، والسمكة غائصة في الماء ولا ري.

دخل الرسول عليه الصلاة إلى بيت يهودي يعوده فقال له: أسلم تسلم، فنظر المريض إلى أبيه، فقال له: أحب أبا القاسم، فأسلم كان في ذلك البيت غريباً مثل "سلمان منا" فصاحت ألسنة المخالفين: ما لمحمد ولنا؟ ولسان الحال يقول: مريضنا عندكم! كيف انصرافي ولي في داركم شغل المناسبة تؤلف بين الأشخاص. ما احتمل "موسى" مرارة الغربة في دار "فرعون" وإن كان في "آسية" ما يسليين غير أن حق الأم أحق، فضرب على فيه فدام "وَحَرَمْنَا" إلى أنه أمته الأم، فصوت عود العود عند اجتماع الشمل.

سَلَامِي عَلَيْكُمْ كَيْفَ حَالِكُمْ وَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ وَحْشَةِ الْبَيْنِ مَا عِنْدِي

سبق العلم بنبوة "موسى" و"إيمان" آسية" فسبق تابوته إلى بيتها، فيه طفل منفرد عن أم إلى امرأة خالية عن زوج.

### قرينان مرتعنا واحد

لما قضيت في القدم سلامة "سلمان" حملته صبا الصبا نحو الدين، كان أبوه على اعتقاد الجوس، فخرج به دليل التوفيق إلى دير النصرارى، فأقبل يناظر أباه فلم يكن لأبيه جواب القيد، وهذا الجواب المزدول قدم

من يوم "أنا أحيي وأميت"، "ثم نُكسوا" قالوا حرقوه" فتزل في البداية ضيف "وكنبلونكم" ولولا مكابدة البلاء ما نيلت مرتبة "رب أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبره" فسمع أن ركبا على نية السفر، فسرق نفسه من حرز أبيه ولا قطع، فركب راحلة العزم يرجو إدراك مطلب الغنى، وغاص في مقر بحر البعث ليقع على بدرة الوجود، فصاح به الهوى: إلى أين؟ فقال "إني ذاهبٌ إلى ربي" وقف نفسه على خدمة الأدلاء، وقوف الأدلاء.

فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم، زوده سفره إلى طلب علم الأعلام على علامات نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وقالوا: قد آن زمانه وأطل، فاحذر أن تضل، فإنه يخرج بأرض العرب، ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين، فلو رأيتَه قد فلى الفلاة، والدليل شوقه، والحنين يزعجه، والتلهف يقلقه

وَأَبْغَضْتُ فَيْكَ النَّخْلَ وَالنَّخْلُ يَانِعٌ وَأَعْجَبَنِي مِنْ حُبِّكَ الطَّلْحُ وَالضَّالُّ  
وَأَهْوَى لِحِرَّالِ السَّمَاءِ وَالْفَضَى وَلَوْ أَنَّ صَنْفِيَةَ وَشَاةٍ وَعُذَالُ

رحل مع رفقة لم يرفقوا به "فَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ" فاشتراه يهودي بالمدينة، فأنجز انكسار رقه بإنعام "سلمان منا" وتوقد شوقه برؤية الحرتين، وما علم المتزل بوجد النازل.

أَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرِّكْبُ سَاقًا؟ أَيُّدْرِي الرِّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا  
لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى!!

فبينما هو يكابد ساعات الانتظار جاء البشير بقدوم الرسول، و "سلمان" في رأس نخلة، فكاد القلق يلقيه لولا أن الحزم أمسكه، كما جرى يوم "إن كادت لتبدي به" ثم عجل التزل ليلقي ركب البشارة، وأي ثبات بقي ليعقوب في حال "إني لأجد".

خَلِيلِيَّ مَ، نَجِدُ قَفَانِي عَلَى الرُّبَاقَدِّ هَبَّ مَ، تِلْكَ الرُّسُومِ نَسِيمٌ طِفْ صَالِحٍ بِهِ المَالِكُ: مَالِكٌ وَهَذَا؟ انصرف إلى شغلك .

كيف انصرافي ولي في داركم شغل ثم أخذ يضربه، فأخذ لسان حال المشوق يتنم، لو سمع الأطروش؟

خَلِيلِيَّ لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْكُمْ إِذَا عَلَّمَ مِنْ آلِ لَيْلَى بَدَا لِيَا

## الفصل السادس

### تتجافى جنوبهم عن المضاجع



سفر الليل لا يطيقه إلى مضمر المجاعة، تجتمع جنود الكسل فتتشبث بذيل التواني، فتزين حب النوم، وتزخرف طيب الفراش، وتخوف برد الماء، فإذا ثارت شعلة من نار الحزم، أضاءت بها طريق القصد، فسمعت أذن اليقين هاتف: هل من سائل؟

**فَقَمْتُ أَفْرِشُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لَهُ ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَجْفَانِي عَلَى الْأَثَرِ**

نفس الحب في الليل على آخر نفس، وفي "المتعبدين قوة" وهم يستغفرون صراخ الأطفال غير بكاء الرجال، سهر الليل هودج الأحباب، يوقظ نسيم الأسحار أعين ذوق الأخطار، فلو رأيتهم

**وَقَدْ لَاحَتَ الْجُوزَاءُ وَأَنْحَدَرَ النَّسْرُ**

قد افترشوا بساط "قيس" وباتوا بليل "النابعة" إن ناموا توسدوا أذرع الهمم، وإن قاموا فعلى أقدام القلق، كأن النوم حلف على جفاء أجفانهم

**هَذَا رِضَاكَ نَفِي نَوْمِي فَأَرْقِنِي فَكَيْفَ يَا أَمَلِي إِنْ كُنْتَ غَضَبَانَا**

مازالوا على مطايا الأقدام إلى أن نم النسيم بالسحر، وقام الصارخ يعني الظلام، فلما تمخض الدجى بجمل السحر، تساندوا إلى رواحل الإستغفار.

**شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوَّلَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا**

رياح الأسحار أقوات الأرواح، رقت، فراقت، فبردت حر الوجد، وبلغت رسائل الحب.

**أَلَا يَا صَبَا نَجِدُ مَتَى هُجَّتْ مِنْ نَجْدٍ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدًّا عَلَى وَجْدٍ**

مكروب الوجدن يرتاح إلى النسيم، وإن قلقل الواجد.

**حَنَّ مَشُوقٌ وَصَبَا**

**بَيْنَ شَمَالٍ وَصَبَا**

**فَلَمْ تَزِدْهُ نَغَمَاتِ الشُّوقِ إِلَّا وَصَبَا**

عبارة النسيم لا يفهمها إلا المشتاق، وحديث البروق لا يروق إلا للعشاق.

**وَمَرْنَحُ فِطْنِ النَّسِيمِ بِوَجْدِهِ فَرَوَى لَهُ خَبَرَ الْعُذَيْبِ مَعْرُضًا**

خلوا بالحبيب في دار المناجاة فكساهم ثياب الموصلة، وضمخهم بطيب المعاملة، وغالية السحر غالية، يصبحون وعليهم سيما القرب.

تفوح أرواح نجد من ثيابهم فتأسف يا جيفة النوم، وابك يا عريان الغفلة، أتدري كيف مر عليهم الليل،

ألك علم بما جرى للقوم.

أيعلم خال ما جرى للمتيم رحلت رفقة "تتجاني" قبل السحر، ومطروود النوم في حبس الرقاد، فما فك عنه السجنان القيد حتى استقر بالقوم المتزل، فقام يتلمح الآثار على باب الكوفة، والقوم قد شرعوا في الإحرام.

مَنْ يَطَّلِعُ شَرَفًا فَيَعْلَمُنِي  
هَل رَوَّضَ الرَّعِيَانُ بِالْإِبِلِ  
أَمْ قَعَقَعْتَ عُمْدُ الْخِيَامِ أَمْ  
ارْتَفَعْتَ قِبَابُهُمْ عَلَى النُّزْلِ  
أَمْ غَرَدَ الْحَادِي بِقَافِيَةٍ  
مِنْهَا غُرَابُ الْبَيْنِ "يَسْتَمَلِي"

كان "حسان بن أبي سنان" يخادع امرأته حتى تنام، ثم يخرج من الفراش إلى الصلاة.

جَرَى حُبُّهُ مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي  
فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ شُغْلُ  
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ يَعْتَشِقُ مُقَاتِي  
فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ

كانت "أم الربيعين خيثم" إذا رأت تقلقله بالليل تقول: يا بني لعلك قتلت قتيلا، فيقول: نعم قتلت نفسي. وقالت "أم عمر بن المنكدر": أشتهي أن أراك نائما، فقال: يا أماه، من جن عليه الليل وهو يخاف البيات، حق له أن لا ينام، يا أماه إن الليل ليرد عليَّ فيهلوني، فينقضي عني وما قضيت منه أربي. ذق الهوى وإن استطعت الملام لم قيل لبعض الزهاد: إرفق بنفسك، فقال: الرفق أطلب. كان "أمية الشامي" يبكي في المسجد وينتحب حتى يعلو صوته، فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلا، فبكي وقال: إن حزن القيامة أورثني دموعا غزارا، فأنا أستريح إلى ذريها أحيانا.

اللَّوْمُ فِيكَ يَنْصَحُونِي  
وَالنُّصْحُ خِيَانَةٌ اللَّوَائِمِ  
المُقْعَدُ، وَالمُقِيمُ عِنْدِي  
مَا دُمْتَ عَلَى الصُّدُودِ دَائِمِ  
مَالِي أَجْدُ الحَمَامَ أَنِّي  
نَاحَتِ بِأَرَاكِهَا الحَمَائِمِ  
كَمْ صَحَّ عَلَى السَّلْوِ عَزْمِي  
وَالْحُبُّ يُحَلِّلُ العَزَائِمِ  
وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ قَدْ خَبَأَهُ لِلْقَسَا  
فَلَمَّا التَّقِينَا صِرْتُ أْخْرَسَ الْكِنَا

## الفصل السابع

## التوبة

يا مؤخر توبته بمطل التسويف "لأَيِّ يَوْمٍ أُجِلَّتْ" كنت تقول: إذا شبت تبت. فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت لو كان لسيف عن عزيمتك جوهرية لقيك موت الهوى تحت ظبته. كل يوم تضع قاعدة الإنابة ولكن على شفا جرف، كلما صدقت لك في التوبة رغبة، حملت عليها جنود الهوى حملة فانهزمت، إذبح حنجرة بالهوى بسكين العزيمة، فما دام الهوى حيا فلا تأمن من قلب قلبك. اجعل بكاءك في الدجى شفيعا في الزلل، فزند الشفيح توري نار النجاح. اكتب بمداد الدمع حسن الظن إلى من يحققه، ولا تقنع في توبتك إلا بمكابدة حزن "يعقوب" أو بصير "يوسف" عن الهوى، فإن لم تطق فبذل إخوته يوم "وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا".

يا معشر الأقبام، هذه مشاعل القبول. يا فارغ البيت من القوت، هذه أيام اللقاط. يا مهجور "كنعان" متى تجد ريح "يوسف" يا سجن "مصر" متى يرى الملك سبع بقرات، يا "ابن يا مين" الفراق متى تسمع نغمات "إني أنا أحوك" يا دائم الزلل متى تضع جبهة "وإن كنا لخاطئين".

**اليوم عهدكم فأين الموعدُ هيهات ليس ليوم عهدكم غدُ**

إذا وقعت عزيمة الصدق في قلب العبد التائب رضي الملك، فأنسى الملك، ما كتب، وأوحى إلى الأرض: اكنمي على عبدي.

قتل رجل قبلكم مائة نفس، ثم خرج تائبا فأدركه الموت، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فبعث الله ملكا يحكم بينهم، فقال: قيسوا ما بين القريتين، وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وعلى هذه أن تقربي، فوجد أقرب إلى قرية الخير بشبر، فغفر له. والحاكم والخصوم لا يعرفون سر "كذلك كدنا ليوسف". إذ صدق التائب أجنبناه وأحييناه "وجعلنا له نورا يمشي به في الناس" يا معاشر التائبين "أوفوا بالعقود" انظروا لمن عاهدتم "ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها" فإن زلتم من بعد التقويم، فارجعوا إلى دار المداراة "فإن الله لا يمل حتى تملوا".

**فالهجر صعب شديدُ**

**عودوا إلى الوصلِ عودوا**

**عهدي لديكم بعيدُ**

**تذكرونا فما**

**فأين تلك العهودُ**

**كنا وكنتم قريبا**

## الفصل الثامن

### مجاهدة النفس

يا مقهورا بغلبة النفس، صل عليها بسوط العزيمة، فإنها إن عرفت جدك استأسرت لك، وامنعها ملذوذ مباحها ليقع الإصطلاح على ترك الحرام، فإذا صبرت على ترك المباح "فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءِ" الدنيا والشيطان خارجان عنك، والنفس عدو مبطن، ومن أدب الجهاد "قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ" إن مالت إلى الشهوات فاكبحها بلجام التقوى، وإن أعرضت عن الطاعات فسقها بسوط المجاهدة، وإن استحلقت شراب التواني، واستحسنت ثوب البطالة فصح عليها بصوت العزم. فإن رمقت نفسها بعين العجب فذكرها حساسة الأصل، فإنك والله ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك، لم تقدر على ذرة من العافية في بدنك، وقد إجتمعت عندك جنود الهوى في بيت النفس، فأحكمت حصن البطالة. فيا حزب التقى جردوا سيوف العزائم، وادخلوا عليهم الباب.

النفس مثل كلب السوء، متى شبع نام، وإن جاع يبصص. الحر يلحى والعصا للعبد. كان أحد السلف إذا قهر بترك شهوته أقبل يهتز الرامي إذا قرطس. إذا قوي عزم المجاهدة لأن له الأعداء بلا حرب.

لما قويت مجاهدة نبينا صلى الله عليه وسلم تعدت إلى كل من تعدى، فأسلم شيطانه، اللهم دلنا على قهر نفوسها التي هي أقرب أعدائنا إلينا، وأكثرهم نكاية فينا، يا هذا: بدل اهتمامك بك، واسرق منك لك، فالعمر قليل، تظلم إلى ربك منك، واستنصر خالقك عليك، يأمرك بالجد، وأنت على الضد. تفر إلى الزحف ولكن لا إلى فته.

تطلب نيل العلى وما ارتقيت درج المجاهدة، أتروم الحصاد ولم تذر؟ لولا إيثار "يوسف" "السجن أحب إلي" ماخرج إلى راحة "وكذلك مكنا" رب خفض تحت السرى، وغنى من عنا، ونضرة من شحوب. لما قوم المؤمنون أنفسهم بالرياضة وقع عقد "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" النفس لم ترض إذا لم ترض، لأنها كلب عقور، وإنما يراد الصيود لا العضوض. ويحك، الأعضاء كالسواقي، والمياه النجسة في الثمرة، أنت تستفتح النهار بإطلاق الجوارح في صيد اللهو، فإذا حان حين الصلاة نعقت بما وليست معلمة فلا تجيب. هيهات ان يخشع طرف ما قومه محتسب "يعضوا" وأن يحضر قلب ما أزعجه تخويف "يعلم السر وأخفى".

الناسُ مِنَ الهوى عَلَى أَصْنَافٍ      هَذَا نَاقِضُ العَهْدِ وَهَذَا وَا فِي  
هَيهَاتَ مِنَ الكُدُورِ تَبْغِي الصَافِي      مَا يَصْلُحُ لِلْحَضْرَةِ قَلْبٌ جَافِي

## الفصل التاسع

### ذم الدنيا

أنت في حديث الدنيا أفصح من "سحبان" وفي ذكر الآخرة أعمى من "باقل" تقدم على الفاني، ولا إقدام "بن معد يكرب" وتجن عن الباقي ولا جن "حسان" ويحك إنما تعجب الدنيا من لا فهم له، كما أن أضغاث الأحلام تسر النائم، لعب الخيال يحسبها الطفل حقيقة، فأما العاقل فلا يغتر. كم أتلفت الدنيا بيد حبها في بيدااء طلبها، وكم عاقبت عن وصول بلد الوصل، كم ساع سعى إليها سعي الرخ رده معكوسا رد الفرازين يا أرباب الدنيا: إنها مذمومة في كل شريعة، والولد عند الفقهاء يتبع الأم، متى نبت جسمك عن الحرام فمكاسبه كريت بها يوقد. هذا "عمر" مع كماله يقول: يا "حذيفة" هل أنا منهم؟؟ وأنت تأمن مع ذنوبك.

إذا كان "بنيامين" نسب إلى السرقة، فأى وجه لخلاص يرجى. رؤي "عمر" بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال: الآن تخلصت من حسابي واعجبا أقيم للحساب أكثر من سني الولاية، أفينته بهذا راقد الهوى؟. يا متلطخا بأقذار الظلم، بادر الغسل من مد العوافي قبل أن يجزرك، لا يغرنك عيش أحلى من العسل، فالمحاسبة أمر من العلقم، ستعلم أيها الغريم قدر عزيمتك. إذ يلتقي كل ذي دين وماطله الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب، ليت الحلال سلم، فكيف الحرام؟ كان لبان يخلط اللبن بالماء، فجاء سيل فأهلك الغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا.

ولسان الجزاء يناديه "يداك أوكتا وفوك نفخ".

كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة، واحترقت كبد يتيم؟ "وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ" واعجبا من الظلمة كيف ينسون طي الأيام سالف الجبارة، وما بلغوا معشار ما آتيناهم، أما شاهدوا مآلهم؟ "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ" أما رحلوا عن أكوار الندم؟ "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ" أما صاح هاتف الإنذار؟ "كَمَا تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ" واعجبا للمغترين "وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثَاتُ" أما يكفيهم من الزواجر "وَتَبَيَّنَ

لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ" من لهم إذا طلبوا وقت العود؟ "فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ" كم دار بنعم النعم دارت عليها دوائر النقم؟ "فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا"؟ يا معاشر الظلمة: "سليمان" الحكم قد حبس "أصف" العقوبة في سجن "فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ" وأجرى الرجاء "لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ" فلو ذهبت سموم الجزء من مهب "وَلَكِنَّ مَسْتَهُمْ نَفْحَةٌ" لقلعت سكر "إِنَّمَا تُمَلِي لَهُمْ" "فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً".  
فالحذر الحذر "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي" "وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ" أبقى في قوس الزجر مترع "أَفَنضِرُبُ  
عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا".

سفينة التقى تحتاج إلى إحكام تام، ولليم منافذ صغار في الدسر، فاحكم تلك البقاع بقار الورع، هيهات قد خرقتها بالكبائر، وما تنتبه لما صنعت حتى يصبح "نوح" الأسي "لا عاصم" يا هؤلاء: فتعاش العدل إذا لم ينتزع شوك الظلم أثر ما لم يؤمن تعديه إلى القلب، لا تعربوا في سكر القدرة، فصاحب الشرطة بالمرصا.

ويحكم، لا تحتقروا دعاء المظلوم، فشرار نار قلبه محمول بريح دعائه إلى سقف بيت الظالم، نباله تصيب، نبهه غريب، قوسه حرقه، وتره قلبه، مرماته هدف، "لَأَنْصُرَنَّكَ وَكَوْ بَعْدَ حِينٍ" سهم سهمه الإصابة. وقد رأيت وفي الأيام تجريب

## الفصل العاشر

### العمل للأخرة

إخواني ارفضوا الدنيا فقد رفضت من كان أشغف بها منكم، اتعضوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، الدنيا خمر ساعدها تغريد طائر الطبع فاشتد سكر الشارب ففات موسم الريح، ثم بعد الإفاقة يقام الحد، فيقيم قائم الحزن، ويكفي في الضرب فوت الخير فإذا ماتوا انتبهوا.  
ويحك، إن الموت سحاب، والشيب وبله، ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل من قرب الأجل، يا هذا: الدنيا وراءك، والأخرى أمامك، والطلب لما وراء هزيمة، وإنما العزيمة في الإقدام، جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى، ولا ترافق "كنعان" الأمل، ويحك، انتبه لإغتنام عمرك، فكم يعيش الحيوان حيران؟.

الأسقام تزعج الأبدان فلا بد من النحول ضرورة، كأنك بك في لحذك على فراش الندم، وإنه والله لأحشن من الجنادل، فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك، وادخر من وقت قدرتك قبل زمان عجزك، وأعد رحلك قبل رحيلك مخافة الفقر في القفر إلى الأزم، الحذار الحذار "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ" يا

حَسَرْتِي".

الحازم يتزود لما به، قبل أن يصير لما به، شجرة الحزم أصلها إحكام النظر، وفروعها المشاورة في المشكل، وثمرتها انتهاز الفرص، وكفى بذهاب الفرصة ندما.

**وَكَمْ فُرْصَةً فَاتَتْ فَأَصْبَحَ رَبُّهَا يَعْضُ عَلَيْهَا الْكَفَّ أَوْ يَقْرَعُ السَّنَا**

واعجبا لمضيق العمر في التواني، فإذا جاء متقاضى الروح قال "إِنِّي تُبْتُ الْآنَ" وَأَنْتَى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ".

يا رابطا مناه بخيط الأمل، إنه ضعيف الفتل، لو فتحت عين التيقظ لرأيت حيطان العمر قد تهدمت، فبكيت على خراب دار الأمل، جسمك عندنا وقلبك على فراسخ، لا بالتسويق ترعوي، ولا بالتخويف تستوي، ضاعت مفاتيحي معك.

## الفصل الحادي عشر

### الخوف من الله تعالى

خوف السابقة وحذر الخاتمة قلقل قلوب العارفين، وزادهم إزعاجا "يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ" ليس لهم في الدنيا راحة، كلما دخلوا سكة من سك السكون أخرجهم الجزع إلى شارع من شوارع الخوف.

**أَرْوَحُ بِشَجْوٍ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَتَحَسَّبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَاحِبٌ**

أعمار الأعمار وانتبهوا فانتبهوا الليل والنهار، وأخرجوا أقوى العزائم إلى الأفعال، فلما قضوا ديون الجدد، قضت علومهم بالحذر من الرد، حنوا فأنوا، وانزعجوا فما اطمأنوا، أنفاسهم لا تخفى، نفوسهم تكاد تطفأ، لون المحب غمار، دمع الشمون تمام، من ضرورة دوران الدولاب أتينه.

**أُخْفِي كَمَدَّ الْهَوَى وَدَمَعِي فِي الْخَدِّ عَلَى هَوَاكَ شَاهِدٌ**

**فَالجَفْنُ مَقْرٌ بِلَوْعَتِي لِلْعَاذِلِ وَاللِّسَانُ جَاوِدٌ**

تصادما في قلب العارف جبل الرجاء وجبل الخوف فلما وصل "اسكندر" الفكر، ألقى زبر الهموم حتى "ساوى بَيْنَ الصَّدْفَيْنِ" ثم صاح بجند الفهوم: "انفخوا" فاستغاث الواحد لتراكم الكرب.

**أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيَا نَسِيمَ الصَّبَا يُخْلِصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا**

لا راحة للمحب في الدنيا، إن أحس بالحجاب بكى على البعد، وإن فتح له باب الوصل خاف الطر.

وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ

فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ

مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَعْرِفْ:

لِمَ يَدْرِ كَيْفَ تَفَنَّتْ الْأَكْبَادُ

مَنْ لَمْ يَبُتْ وَالْحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ

الفراق أظلم من الليل، الوجد أحر من الجمر.

أَحْرُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا

فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارٌ جَوَى

فقد اشتد قلق الخوف "بإبراهيم بن أدهم" فصاح: إلهي إن كنت أعطيت أحدا من المحبين ما يسكن به قلبه قبل لقائك فأعطني، فقد أضربني القلق.

وَفِي يَدَيْكَ مِنَ الْبَلْوَى سَلَامَتُهُ

لَوْ شِئْتَ دَاوَيْتَ قَلْبًا أَنْتَ مُسْقِمُهُ

مَنْ كَانَ مِثْلِي فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ

عَلَامَةٌ كُتِبَتْ فِي خَدِّ عَارِفِكُمْ

فرأى الحق جل جلاله في منامه وهو يقول: يا إبراهيم: ما استحيت مني؟؟ تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك؟ وهل يسكن قلب المشوق إلى غير حبيبه؟؟.

حَمَلٌ هُمُومٍ بِهَا عِظَامٌ

يَا سَائِقَ الْعَيْسِ قَدْ بَرَاها

خِلَافَ أَشْوَاقِهَا أَمَامِي

أَشْوَاقُهَا خَلْفَهَا وَشَوْقِي

## الفصل الثاني عشر

### ذو البجادين

اللهم نور ظلمة دنيانا بضوء من توفيقك، واقطع أيامنا في طلب الإتصال بك، فإنك إذا أقبلت سلّمت، وإذا أعرضت أسلمت.

إخواني: إذا سبقت سابقة السعادة لشخص دلته على الدليل قبل الطلب "وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ".

أَلْحَقَّتْ الْعَاجِزَ بِالْحَازِمِ

إِنَّ الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ

كان "ذو البجادين" يتيما في الصغر، فلما عمه الفقر كفله عمه، فنازعته نفسه في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهبم النهوض، فإذا بقية المرض مانعة، فقال لسان التسوييف للنفس: قفي حتى يتقدم العم، فلما تكملت الصحة نفذ حبر المشتاق، فقال: يا عم كنت أنتظر سلامتك بإسلامك، وما أرى زمن



زمنك ينشط، فقال: والله لئن أسلمت لأنترعن كل ما أعطيتك!! فصاح لسان عزمته: نظرة من محمد عليه الصلاة والسلام أحب إلي من الدنيا وما فيها. هذا مذهب الحيين إجماعاً من غير خلاف.

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَجْنُونِ لَيْلَى وَوَصَلِهَا      تَرِيدُ أُمَ الدُّنْيَا وَمَا فِي طَوَايِهَا  
أَقَالَ غُبَارٌ مِنْ تَرَابِ دِيَارِهَا      أَحَبُّ إِلَيَّ نَفْسِي وَأَشْفَى لِرُؤْيَاهَا

فعاد العم في هبته حتى جرده من الثياب، فناولته الأم بجادا لها، فقطعه نصفين، فاتزر بوحدة وارتدى بآخر، وخرج في حلة "دب أشعث أغبر".

سُنَّةُ الْأَحْبَابِ وَاحِدَةٌ      فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَتِنِ

فنادى صائح الجهاد في جيش العسرة، فتتبع ساقفة الأحباب، راكبا عجز العزم مع الضجر، والمح لا يرى طول الطريق، إنما يتلمح المقصد.

أَلَا بَلَغَ اللَّهُ الحِمَى مِنْ يُرِيدُهُ      وَبَلَغَ أَكْنَافَ الحِمَى مِنْ يُرِيدُهَا  
خَلِيلِي لَيْسَ الشَّيْبُ عَيْبًا لَوْ أَنَّا      وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الصَّبَا مَنْ يُعِيدُهَا

فتزل إليه ملك الموت بتوقيع: ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي، فتزل ارسل يمهده له اللحد للمأمور: إذا رأيت لي طالبا، فكن له خادما. وصاح بأبي بكر وعمر: أدنيا إلي أحاكما، وأنتدب لمرتبة لفظها: اللهم إني أمسيت عنه راضيا فارض عنه، فقال ابن مسعود: ليتني كنت صاحب هذا اللحد.

## الفصل الثالث عشر

### الغفلة عن الآخرة

يا هذا حب الدنيا أقتل من السم، وشروورها أكثر من النمل، وعين حرصك عليها أبصر من الهدهد، وبطن أملك أعطش من الرمل، وفم شرهك أشرب من الهيم، وإن خضت في حديثها فأنطق من "سحبان" وإن انتقدت دنانيرها فأنسب من "دغفل" حليتك في تحصيلها أدق من الشعر، وأنت في تدبيرها أصنع من النحل، تجمع فيها الدر جمع الدر. يا رفيقا في البله لدود القز، واعجبا! ما انتفعت بموهبة العقل!؟!

فَأَنْتَ كَدُودِ القَزِّ يَنْسِجُ دَائِمًا      وَيَهْلِكُ غَمًا وَسَطًا مَا هُوَ نَاسِجُهُ

حرصك بعد الشيب أحر من الجمر، أبقى عمر يا أبرد من الثلج؟ والدنيا في قلبك أعز من الروح،  
 وستصير عند الموت أهون من الأرض.  
 أنت في الشر أجرى من جواد، وفي الخير أبطأ من أعرج، معاصيك أشهر من الشمس، وتوبتك أخفى من  
 السها، الزكاة عندك أثقل من "أحد" والصلاة عليك كثقل صخر على صدر طريق المسجد في حسابان  
 كسللك، كفرسخي "دير كعب" صدرك عند حديث الدنيا أوسع من البحر، ووقت العبادة أضيق من  
 عقد التسعين.  
 يا من هو عن نجاته أنوم من فهد، ضيعت وقتاً أنفوس من الدر، وإن عرضت خطيئة وثبت وثوب النمر،  
 فإذا لاحت طاعة رغت روغان الثعلب، فإذا عاملت الناس استعملت غدر الذئب، تقدم على الظلم إقدام  
 الأسد، وتختطف الأمانة اختطاف الحدأة.  
 يا أظلم من "الجلندي": ما تأتمنك غزلان الحرم، يا عذري الهوى في حب الدنيا، يا كوفي الفقه في  
 تحصيلها، يا بصري الزهد في طلب الآخرة، واعجبا لقلب أضعف من البعوضة، كيف صار أقوى من  
 الجندل؟ ما يعجبه سجع "فس" ولا يؤثر فيه وعظ "الحسن" ولا يرق لغزل "جرير" فليته فسر منام الأمل  
 على "ابن سيرين" اليقظة قفل قلبك رومي ما يقع عليه فش.

## الفصل الرابع عشر

### مداواة النفس

العقل رفيق القلب، والطبع قرين النفس، فلا تقارب بين النفس والقلب، فرب جار جار، سراق القلب  
 على أطناب العقل، وخيمة النفس على أوتار الهوى، اكسر حدة خمر الطبع بمزاج ماء الرياضة، اشددن  
 أزر العقل بجبال التقى، ماء طبعك أجاج، وماء شرعك عذب، وقد مزج الإبتلاء بينهما، نور العقل  
 يضيء في ليل الطبع، فتبين جادة الصواب للسالك، وزناد الفكر حين يوري يرى عواقب الأهوال.  
 "يوسف" العقل ينظر إلى العواقب و "زليخا" الهوى تتلمح العاجيل، والعزائم منازل الأبطال، والصبر دأب  
 الرجال، وإنما رد "يوسف" عقله وحمل "زليخا" طبعها، ولا أقول لك: اقلع شجر الطبع من أرض الوضع،  
 كيف يمكن وقد قال "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ" وإنما أقول لك: دم على المجاهدة في الجسم، وكلمة  
 نبعت عروق الهوى فاقطع، وكلما كل ما به تقطع فاشحذ، واقنع بساحة الذل، فعند المسجون شغل من  
 "الرياض" ويحك، اترك وأنت تهوى.

وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَىٰ وَلَكِنِّي أَبْدِي الصُّدُودَ مُبَهْرَجًا

إخواني: من أفسد حسابه بالخيانة استحيا من عرض الدستور، من توسخت ثياب معاملته بالمعاصي لم يقرب من المقربين، من سودت الذنوب وجه جاهه ذل بين الأكرمين، من ركب ظهر التفريط نزل به دار الندامة.

أما سمعتم أن "داود" أعطي نعمة نعمة كان يقف لها الماء فلا يسير، والطير مع ذلك وقوف الأسير، فعمل مرض "لا تَقْفُ" في حجاب "يغضوا" فامتدت به يد البصر، فقدمت قميص "يوسف" العصمة، فأثر زلله حتى في تلاوته، وقد كان معمار الوصال يتفقد قدما آلات صوته، فلما أقبل على الذنب أعرض المعمار عن المراعاة، فتشعث منزل الصفاء، وانقطعت جامكية العسكر، فتفرقت جنود أوبي.

فيالك من جرح تعز مراهمه.

كان عيش عشبة خضرا فأحالت الحال سنة، فكأن أيام الوصال كانت سنة، فكاد يقطع باليأس، حتى التقى الخضر باليأس.

وَرَثِي لِي قَلْقِي مِنْ قَلْقِي

أَرْقِي قَدْ رَقَّ لِي مِنْ أَرْقِي

وَتَشَكَّتْ حُرْقِي مِنْ حِرْقِي

وَبُكَائِي مِنْ بُكَائِي قَدْ بَكَى

كان إذا أراد النياحة نادى مناديه: ألا من أراد أن يسمع نوح داود فليخرج، فتجتمع عليه أهل الأحران في مآتم الندب، فتزداد الحرق بالتعاون.

مُغْرَدًا يَبْكِي عَلَى شَجْنِهِ

يَا بَعِيدَ الدَّارِ عَنِ وَطْنِهِ

زَادَتْ الأَسْقَامَ فِي بَدَنِهِ

كُلَّمَا جَدَّ النَّحِيبُ بِهِ

طَائِرٌ يَبْكِي عَلَى فَنَنِهِ

وَلَقَدْ زَادَ الفُؤَادَ شَجَى

كُلَّنَا يَبْكِي عَلَى سَكْنِهِ

شَاقَهُ مَا شَاقَنِي فَبَكَى

## الفصل الخامس عشر

### الإخلاص

الإخلاص مسك مصون في مسك القلب، ينيه ربحه على حامله، العمل صورة، والإخلاص روح، إذا لم تخلص فلا تتعب، لو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجا إلا بشهود الموقف، ولا تغتر بصورة الطاعات، فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القبول. سوق الإخلاص رائحة رابحة ليس

فيها كساد، المخلص يعد طاعاته لاحتقارها عرضاً، وقلم القبول قد أثبتتها في حيز الجوهر، المخلص  
مبهرج على الحق بستر الحال، وببهرجته يصح النقد.  
لما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة جمال الخمول من حلة حلية "أويس" عمل معول الشوق  
في قلب "عمر" فكان في كل عام ينشد بلفظ الطالب، ويسأل عن أهل اليمن.

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَجُوا      عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا  
نِسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نِعْمَانُ بَعْدَنَا      وَحُبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نِعْمَانَ وَادِيَا

فلما لقيه "عمر" قال: من أنت؟ قال: راعي غنم، وأجير قوم، وستر ذكر "أويس".  
الأولياء تحت ستر الخمول ما يعلمهم إلا قليل، فإن عرفتهم بسيماهم فتلحم نقاء الأسرار، لا دنس الثياب  
"وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ".  
كان في "أيوب السخيتاني" بعض الطول لستر الحال، وكان إذا تحث فرق قلبه وجاء الدمع قال: ما أشد  
الزكام؟!.

أَفْدي ظِبَاءَ فُلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا      مَضَعَ الْكَلَامِ وَلَا صَبَغَ الْحَوَاجِبِ

كان "إبراهيم بن أدهم" إذا مرض يجعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء كيلا يتشبه بالشاكين. هذه والله  
بهرجة أصح من نقدك.

قَدْ سَحَبَ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بِنَا      وَفَرَّقَ النَّاسُ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرْقَا  
فَكَاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيْرَكُمْ      وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَدَقَا

للمؤمن في إخلاصه أحوال، يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله. كان "النخعي" إذا قرأ في المصحف فدخل  
عليه داخل غطاه.

وكان "ابن أبي ليلى" يصلي، فإذا دخل عليه أحد نام على فراشه.

قال "الحسن" كان الرجل تأتيه عبرته فيسترها، فإذا خشى أن تسبقه قام من المجلس.

بَاخَ مَجْنُونٌ عَامِرٍ بِهَوَاهُ      وَكَتَمْتُ الْهَوَى فَمَتَّ بِوَجْدِي

سحقت نافجة مسك الحبة فبثت في محاريب المتعبدين، وليس كل ثوب يعلق به الطيب "رب قائم حظه  
السهر".

كما من مرآة يتعب في تمجده، فتفض ريجح الرياء أوراق تبعده، فتبقى أغصان العمل كالسلا، وليس

للسوك نسيم "فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ".

إذا بهرج المنافق على عمل المخلص، فماجت أراييج النفاق، القلوب لجيفته، فذهب عمله جفاء. واعجبا من أهل الرياء! على من ييهرجون؟ "وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ" غلب على المخلصين الخشوع، فجاء المرائي ييهرج، فقيل: مهلا، فالناقد بصير، لما أخذ دود القز ينسج جاء العنكبوت يتشبه، فنأدى لسان الحال الفاروق:

إِذَا اِشْتَبَهْتَ دُمُوعَ فِي خُدُودِ      تَبَيَّنَ مِنْ بَكِيٍّ مِمَّنْ تَبَاكِي .

## الفصل السادس عشر

### الإقبال على الله تعالى

يا مختار القدر، اعرف قدر قدرك، خلقت الأكوان لأجلك، أقبل علي، فإني مقبل، متى رمت طلبي فاطلبي عندك بدليل "وسعني".

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَعْمرُهُ      لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ

غَابَ عَن سَمْعِي وَعَن بَصْرِي      وَسُوَيْدَ الْقَلْبِ يُبْصِرُهُ

بيننا عهد "ألست" شجراته تسقى بمياه "هل من سائل".

إِذَا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ      وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ

أودعت إقراارك الحجر الأسود، وأمرتك بالحج لتستحي بالتذكر من نقض العهد.

تَشَاغَلْتُمْ عَنَا بِصُحْبَةِ غَيْرِنَا      وَأَظْهَرْتُمْ الْهَجْرَانَ مَا هَكَذَا كُنَّا

وَأَقْسَمْتُمْ أَنْ لَا تُحَوِّلُوا عَنِ الْهَوَى      فَقَدَ وَحْيَاةِ الْحَبِّ حُلْتُمْ وَمَا حُلْنَا

الحجر الأسود صندوق أسرار المواثيق، مستمل لما أملى، المعاهد مشتمل على حفظ العهود، فاستلم المشتمل المستملي، ليعلم أن إقراارك لا عن إكراه، إن كنت نسيتهي فما نسيتهك.

فَلَا تَحْسِبُوا أَنِّي وَدَائِكُمْ      فَإِنِّي وَإِنْ طَالَ الْمَدَى لَسْتُ أَنْسَاكُمْ

حَفِظْنَا وَصَيَعْتُمْ عُهُودَ وَدَائِنَا      فَلَا كَانَ مَن بِالْهَجْرِ وَاللُّومِ أَغْرَاكُمْ

يا محدثا في عهد "بلى" ما ليس فيه تطهر من أدران الزلل، فلا بد للمحدث من طهارة: خلقتك يوم الفطرة طاهرا، ووفرت نصيبك من رش نوري عليك، فأينعت "أغصان" الإقرار، وهدجأت حمائم الوفا،

وتدلت ثمار الوفاء، فلما تدنست بالذنب عطشت أرض الوصال، فمالت أغصان المحبة، وقحلت روضة المعاملة، فطاف على جنة العزم طائف المصارمة "فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ" فنكس الآن رأس الذل طول شتاء الحجر، وابعث بريد الأسى ليعث مزن الحزن لعلها تبكي على قاع الإفلاس، ومسكن المسكنة، فتدب المياه في عروق أغصان اللب، فتهتز العيدان في ربيع الإستدراك، فما ارتوى زرع توبة قط إلا من داودل الحدق.

## لَعَلَّ أَيَّامَنَا الَّتِي سَلَفَتْ      تَعُودُ بَيِّضًا كَمَا عَهْدِنَاهَا

يا هذا: لا ضرر يلحقنا في معاصيك، إنما المراد صيانتك، ولا نفع لنا في طاعتك، إنما المقصود ربحك، فتدبر أمرك.

يا قوم من غيرتنا عليكم حرمننا عليكم الفواحش.

كم ندعوك وتأبى إلا الحجر، فلا العهد رعيت، ولا للتقويم استويت.

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ      وَجِدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ  
وَبَيْنَنَا لَوْ رُعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً      إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الْهَوَى ذِمَمٌ

## الفصل السابع عشر

في إغتنام العمر إخواني: من رأى تصرف الدهر انتبه، أما في الغير عبر، مهد الطفل عنوان اللحد، ريح نقع الأجل يقشع غيم الأمل، الشباب باكورة الحياة، والشيب رداء الردى، لو أن أيام الشباب تباع لبدلنا فيها أنفس الأنفس، متى أسفر صبح المشيب هوى نجم الهوى، إذا قرع المرء بباب الكهولة فقد استأذن على البلى، من عرف الستين أنكر نفسه، من بلغ السبعين اختلفت إليه رسل المنية.

يا من انطوى برد شبابه، وجيئت خلع قلعه، وبلغت سفينة سفره الساحل، قف على ثنية الوداع.

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَظْرَةٌ تَتَغَنَّمُ قَطْعَ الشَّيْبِ سَلَكَ الْعُمُرِ، فَالْتَقَطَ الْخُرْزُ، وَرَثَ سَفَاءَ الْأَمَلِ، قَاشِدِدَ بِالْعَمَلِ بَعْضَ الْخُرْزِ. عَمْرُكَ يَذُوبُ ذُوبَابِنِ الثَّلْجِ، وَتَوَانِيكَ أُبْرَدُ مِنْهُ.

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَيَّامِ جَمْعِ إِلَيَّ مِنْي      إِلَى مَوْقِفِ التَّجْمِيرِ غَيْرُ أَمَانِي

أنت تحب الإقامة، ولكن ما تحمل المفازة، في نفس الجمل غير ما في نفس السائق، ولو ترك القطا لنام. العاقل من استعد لما يجوز وقوعه كيف يغفل عما لا بد من كونه؟؟ زمن التردد قصير لا يحتمل التسويف. واعجبا لعمر لو ملئ بالزاد خيف عليه العوز، فكيف إذا تناهته أيدي البطالة.

واعجباب لمن ينشد وقد أضل نفسه، ولمن يشفق أن ينفق دراهمه وقد ضيع عمره.

كان "ثلاج" لا معاش له سوى بيع الثلج، فبقي عنده منه شيء، لم ينفق، فجعل يقول في مناداته: ارحموا من يذوب رأسه ماله.

ففرق من الخير مشوب بالكسل، ومتى كان الفقير كسلان فلا وجه للغنى، لو كانت لك أنفة من التواني لخزجت من ربة الذل، بعث قيام الليل بفضل لقمة، شربت كأس النعاس ففاتتك رفقة "تتجافى جنوبهم" امتلأت طعاما فإذا غريم الفراش يتقاضاك بدين النوم، فضرب على أذنك لا في موافقة أهل الكهف، تناولت خمر الرقاد فوقع بك صاحب الشرطة فعمل في حقك بمقتضى أتم وأرقم، فجعل حدك الحبس عن قيام الليل، فخرج على توقيع قصتك وقت الفجر "رضوا بأن يكونوا مع الخوالف".  
والله لو بعث لحظة من خلوة بنا بتعمير "نوح" في ملك "قارون" لغبت، لا بل بما في الجنان كلها ما ربح، ومن ذاق عرف.

## الفصل الثامن عشر

### أعمال الملائكة

خلقت الملائكة من نور لا ظلمة فيه، وخلقت الشياطين من ظلمة لا نور فيها، وركب البشر من الضدين، فظلام نفسه مقترن بنور عقله، بينهما حاجز لطيف، لا تعلمه إلا بالمجاهدة، كما أن بين الشمس والظل خط لا يراه إلا المهندس، فالمثلل يسبح لأنه صاف، والشيطان يعصي لأنه كدر، وإنما العجب تقوى من تقوى في حقه الأضداد.  
الآدمي عقل وهوى غير أن بين الهوى والهدى برزخ من التوفيق، لولا لطائف الإعانة قلع سكر التماسك، ولم تطق البشرية المدافعة، لولا لاحقة "لتهديهم" لسابقة "سبقت لهم".  
فالصبر الصبر أيها المحارب، ولا تخف من كمين "واستفز" ما دام لك مدد "يثبت الله الذين آمنوا" هبت عواصف التكليف البشري فلم يتماسك "هاروت" و "ماروت" فرمى بهما رمي "عاد" وقال موافق "أجعل فيها" إن للحرب رجالا خلقوا، كانت الملائكة تدعو على العصاة قبل "هاروت" و "ماروت" فلما جرت قصتهم صاروا يسبحون لمن في الأرض، كما كان "داود" يقول: لا تغفر للخطئين، فلما زل عرف.

وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعَشِقِ حَتَّى ذُقْتُهُ  
وَعَرَفْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنَّنِي  
فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مِنْ لَا يَعِشُقُ  
عَيْرَتُهُمْ فَلَقَيْتُ فِيهِمْ مَا لَقُوا

خب بحر الأمانة فوقفت الملائكة على الساحل ونهضت عزيمة الآدمي لسبيل الخطر، والمحب لا يرى العواقب، ولسكران الوجد إقدام.

## يَغْلِبُنِي شَوْقِي فَأَطْوِين السُّرَى      وَلَمْ يَزَلْ ذُو الشَّوْقِ مَغْلُوباً

أين مجاهدة الآدمي من تعبد الملائكة، حال الآدمي أعجب، تسييح الملائكة يدور على ألسنتهم بالطبع، تعبدهم لا عن تعب، ورد شجرهم خال من شوك الحب، الأغلب على أوصافهم أنوثية السلامة، لا ذكورية الجهاد، سبوح تسييحهم عقود ما نظمها التكليف، ثمرات زرعهم نشأت لا عن كلف، ساقها سيح العصمة، فكثر في زكوات تعبدهم قدر الواجب "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَ، فِي الْأَرْضِ" ظنت الملائكة أن أيدي العصمة أصنع من نظم التسييح، ونسوا أن ييس الأشجار أيام الشتاء سبب لزهو النور في الربيع.

## الفصل التاسع عشر

### عزيمة الرجال

العزائم في قلوب أربابها كالنار تشتعل، إنها لتستعمل البدن ولا تحس بالتعب. يغلبني شوقي فأطوي السرى للعزائم رجال ليسوا في ثيابكم، وطنوا النفوس على الموت فحصلت الحياة.

## لَوْ رَأَيْتَ ذَا الْعَزْمِ قَدْ بَرَزَ فِي بُرَازِ الْجَدِيدِ عِنَانًا لَمْ تُخْنَةَ الشَّكَاكِمُ

فلما عاين هولاً يلين له قلب الجبان، حن إلى عوده المعجوم من الإصابة، فهو في صف الجهاد أثبت قلباً من القطب في الفلك، إن حن الليل لم تتصافح أحفانه، لا تنتظر لقيامه وقت السحر، وكيف وغلة الصادي تأبى له.

## انتظرا لوراد، فما مضى إلا قليلٌ فإذا به على قمة المجد المؤتَّلِ جالسٌ

من لم يقم في طلاب المجد      لم ينم في ظلال الشرف

تقولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا      وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمُقَامِ أَطُوفُ

كل الصحابة هاجروا سرا، و "عمر" خرج ظاهراً وقال للمشركين: ها أنا اخرج إلى الهجرة، فمن أراد لقائي فليلقني في بطن هذا الوادي.

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي مذ عزم "عمر" على طلاق الهوى أحد أهله عن زينة الدنيا، فكان بيته - وهو أمير المؤمنين - كبيت فقير من المسلمين.

## تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هَمَمٌ      مِثْلُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا



كان رضي الله عنه يقول: لئن عشت لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدي.

وَهَمَّةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةُ زُحْلٍ      مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحْلٍ

لما ولي "عمر بن عبد العزيز" سمع البكاء في داره، فقيل: ما لهم؟ قيل: إنه خير النساء والجواري قال: من شاءت فلتقم، ومن شاءت فلتذهب، فإنه قد جاء أمر شغلني عنكن.

أَقْسَمُ بِالْعِفَّةِ لِأَتَيْمِهِ      ظَبِي رَنَا أَوْ غُصْنُ تَأَوُّدَا

وَكُلُّمَا قَبِيلَ لَهُ تَهْنٌ قَدَّ      حَزَبَتِ الْمِنَى فَقَدَّ حَزَبَتِ الْمَدَى

واعجبا! أين العزائم؟ إن العجز لشريك الحرمان، وإيثار الراحة يورث التعب.

وَالهُونَ فِي ظِلِّ الْهُوِينَا كَامِنٌ      وَجَلَالَةُ الْأَخْطَارِ فِي الْأَخْطَارِ

اغسل وجه الجد من غبار الكسل، وأنفق كيس الصبقر في طريق الفضائل، إن كانت لك عزيمة فليس في لغة أولي العزم ربما وعسى.

لَيْسَ عَزْمًا مَا مَرَضَ الْقَلْبُ فِيهِ      لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ

## الفصل العشرون

### الظلام والتهيه

يا تائها في ظلمة ظلمه، ياموغلا في مفازة تيهه، يا باحثا عن مديّة حتفه، يا حافرا زبية هلاكه، يا معمقا مهواة مصرعه، بئسما اخترت لأحب الأنفس إليك.  
ويحك! تلمح الجادة فأنت في ظلال عين أملك ترى المحبوب وتعمى عن المكاره، إذا كان عمرك في إدبار والموت في إقبال، فما أسرع الملتقى، كيف يبقى على حالته من يعمل الدهر في إحالته؟ كيف تطيب الدنيا لمن لا يأمن الموت ساعة، ولا يتمل له سرور يوم؟ كم قرع الزمان بوعظه فما سمعت "لِينْدِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا" صاح ديك الإيقاظ في سحر ليل العبر فما تيقظت، فتنبه إذا نعق غراب البين بين البين.

وَمَشَّتِ الْعَزَمَاتُ يُنْفِقُ عُمْرَهُ      حَيْرَانَ لَا ظَفْرٌ وَلَا إِخْفَاقُ

يا مؤثرا ما يفني على ما يبقى، هذا رأي طبعك، هلا استشرت عقلك لتسمع أنصح النصائح، من كان دليله اليوم كان مأواه الخراب.

ويحك! شهوات الدنيا أحلام يزخر منها نوم الغفلة، ونظر الجاهل لا يتعدى سور الهوى، ولا يخرج

حجاب الغفلة، فأما ذو الفهم فيرى ما وراء الستر، لاحت الشهوات لأعين الطباع فغمض عنها "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" فوق أكثر الخلق في التيه، والقوم "عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ".  
 رحل الصالحون وفي القوم تثبط، تالله لقد علموا شرف المقصد، ولكن بعدت عليهم الشقة، وأسفا! لو عرفوا عمن انقطعوا لتقطعوا، يصبحون في جمع الحكام، ويبيتون على فراش الآثام، وينفقون في الهوى بضائع الأيام "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى" سلمت إليهم أموال الأعمار فأنفقوها في ديار البطالة "فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ" هذا والعبر تصيح "فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ" غير أن المسامح قد تملكها الصمم، ويجهم!! هلا تدبروا فساد رأي أمل "وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ" إن في الماضي للمقيم عبرة، وليس المرء من غده على ثقة، ولا العمر إذا مر يعود، وغواري الليالي في ضمان الإرتجاع، والدهر يسير بالمقيم، فاشتر نفسك والسوق قائمة والتمن موجود، ولا تسمعن حديث التسويف.

فَمَا لِعَدَمِ، حَادِثٍ بِكَفَيْلٍ

## الفصل الحادي والعشرون

### الانتصار على الهوى

لما عرف الصالحون قدر الحياة أماتوا فيها الهوى فعاشوا، انتهوا بأكف الجدم ما قد نثرته أيدي البطالين، ثم تحيلوا القيامة فاحتقروا الأعمال فماتت قلوبهم بالمخافة، فاشتقت إليهم الجوامد، فالجذع يحن إلى الرسول، والجنة تشتاق إلى "علي".  
 كم شخص أشخصه الشوق إلى الحج، يكاد مودع المواثيق قبل تقبيله يقبله، فلما قضى الناسك المناسك، ثم رجع، بقي سهم الشوق إليه في قلب منى، خواطرهم تراقب حدود الشرع، وقلوبهم وقف على محبة الخالق.

وَقَفَّ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَقَدِّمٌ عَنْهُ وَلَا مُتَأَخِّرٌ

أنفوا من مزاحمة الخلق في أسواق الهوى، وقوي شوقهم فلم يحتملوا حصر الدنيا، فخرجوا إلى فضاء العز في صحراء التقوى، وضربوا مخيم الجدم في ساحة الهدى، وتحيزوا شواطئ أثمار الصدق، فشرعوا فيها مشارع البكاء، وانفردوا بقلوبهم فساعدهم ريم الفلا، وترنمت بلابل بلباهم في ظلام الدجى، فلو رأيت حزينهم يتقلب على جمر الغضا.

فيا محصورا عنهم في حبس الجهل والمنى، إن خرجت من سجنك لترويح شجنك من غم البلاء، عرج بذلك الوادي. تلمح القوم الوجود ففهموا المقصود، فجمعوا الرحل قبل الرحيل، وشمروا في سواء السبيل، فالناس يخوضون في وحل الإكتساب، وهم في ظل القناعة، ومرض الهوى يستغيثون في مارستان البلاء، وهم في قصور السلامة، وكسالى البطالة على فراش التواني وهم في حلبات السباق "يرجون تجارةً لَن تَبور" يجرون خيل العزائم في ميادين المبادرة، ويضربون الدنيا بصولجان الأنفة، فما مضت إلا ايام حتى عبروا القنطرة، وقد سلموا من المكس. غناهم في قلوبهم "سيماهم في وُجوههم" ما ضرهم ما عزمهم، أعقبهم ما سرهم، هان عليهم طول الطريق لعلمهم بشرف المقصد، وحلت لهم مرارات البلاء لتعجيل السلامة، فيا بشراهم يوم "هذا يومكم".

شَقِينَا فِي الْهَوَى زَمْنَا فَلَمَّا  
تَلَّاقِينَا كَأْنَا مَا شَقِينَا  
سَخَطْنَا عِنْدَمَا جَنَّتِ اللَّيَالِي  
فَمَا زَالَتْ بِنَا حَتَّى رَضِينَا  
سَعَدْنَا بِالْوِصَالِ وَكَمْ سَقِينَا  
بِكَاسَاتِ النَّعِيمِ وَكَمْ شَقِينَا  
فَمَنْ لَمْ يَحْيَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمًا  
فَأِنَّا بَعْدَ مَيِّتِنَا حَيِينَا

## الفصل الثاني والعشرون

### دموع المذنبين

سبحان من يرسل رياح المواعظ فتثير من قلوب المتيقظين غيم الغم على ما سلف، فتسوقه إلى بلد الطبع المجذب برعد الوعيد، ويريق الخشية، فترقأ دموع الأحزان من قعر بحر القلب إلى أوج الرأس، فتسيل ميازيب الشؤون على نطوع الوجنات، فإذا أعشب السر تهتز فرحا بالإجابة.

سَلِي عَنْهُ تُخْبِرُ بِالْيَقِينِ دُمُوعُهُ  
وَلَا تَسْأَلِي عَنْ قَلْبِهِ أَيْنَ يَمَّا  
وَقَجَعَةُ "عَمْرُو" مِثْلُ هَرَعَةِ "مَالِكِ"  
وَيَقْبُحُ بِي أَنْ لَا أَمُوتُ مُنِيْمًا

إذا أرعدت سحائب التخويف انزعج لها قلب المذنب فانفتحت صحائف أصداف سره كانفتاح أصداف البحر لتلقي قطر نيسانن فقطرت فيها قطرات عزائم عقدها لؤلؤا، ربيع العرفان التوبة الصادقة، كيمياء السعادة إذا وضعت منها حبة صافية على جبال من أقدار الذنوب دكتها كهيبة التجلي قبل المباشرة، فصارت كحلا مصلحا لأحدق البصائر.

رب ذنب أدخل صاحبه الجنة، إذا صدق التائب قلبت الأمانة مطمئنة، لما أخذ الخليل عليه السلام في

طريق الصبر فتبعه الذبيح واستسلما، ألقى على السكين السكون، إذا جالس التائب رفيق الفكر، أعاد عليه حديث الزلل، وندمه على ركوب الخطل، فرأيت العين التي كانت فجرت قد انفجرت، وسمعت لسان الأسي يعيد لفظة: لا أعود وعانيت عامل اليقظة قد بث عمال الجد في رستاق القلب للعمارة، فيا أيها المذنب: إذا أشكل عليك أمر فليفصح لك دمعك.

**إِذَا أَعْجَمْتَ أَطْلَالَ هِنْدٍ عَلَى الْبِلَا      فَدَمْعُكَ فِي بَثِّ الْغَرَامِ فَصِيحُ**

يا مطلقا في وصالنا راجع، يا حالفا على هجرنا كفر، إنما أبعدنا إبليس لأنه لم يسجد لك.  
فواعجبا!! كيف صالحته وهجرتنا!!؟ وبجك لك من عندنا من القدر ما لا تعرفه لليلة القدر.

**رَعَى اللَّهُ مِنْ نَهْوِي وَإِنْ كَانَ مَا رَعَى      حَفِظْنَا لَهُ الْوُدَّ الْقَدِيمَ وَضَيْعًا**  
**وَصَالَحْتَ قَوْمًا كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْهُمْ      وَحَقَّكَ مَا أَبْقَيْتَ لِلصِّلِحِ مَوْضِعًا**

## الفصل الثالث والعشرون

### في ترك الشهوات

حبال الدنيا خيال تعز العز، انقطعت منذ الصلة اتصلت بعزة "فرعون" الهوى. إذا ألقى موسى الزهد عصا الشهوات إذا هي تتلقف.

الدنيا سوق فيها ضحيج الشهوات، فإذا اشتغلت بما فمن يسمع المواعظ، نادى بال صالحين أمير "نمل" التوفيق، عند ممر "سليمان" البلاء، كفوا أكف الطباع عن تناول لقم الهوى "لا يُحَطِّمَنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودَهُ".

"سبعة يظلمهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله، منهم رجل دعت امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله" اسمع يا من أجاب عجوزا شوهاء، لاح للأولياء حب المشتهى فمدوا أيدي التناول، فبان للبصائر خيط الفخ، فطاروا بأجنحة الحذر، وصوت مناديتهم إلى الرعيل الثاني "يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ".  
ما أصعب السباحة في غدير التمساح؟ ما أشق السفر في الأرض المسبعة، أي مقيد الوجود في فناء الفناء: قامت قيامة الملامة وما تسمع، لقد نصحك صوت النصح، ولكن صلح الأذان مانع.  
كم لاحت لك شهوة تردي، و "يعقوب" المواعظ يعرض أنامل التحذير يوم البرهان؟ وأنت لا تلتفت.  
ويحك أحضر الطبع الجاهل مجلس التفكير، فقد فهم "حبيب العجمي" وعظ الحسن.

يا مقيما على الهوى وليس بمقيم، يا مبذرا في بضاعة العمر، متى يؤنس منك رشد؟ يا أكمه البصيرة ولا حيلة فيه "لعيسى" أي طويل الرقاد ولا نومة أهل الكهف: قدر أن الموت لا يتفق بغتة، أليس المرض ييغت؟

ويحك قد بقي القليل فاستدرك ذبالة السراج، أما يزعجك صوت الحادي؟ أما يؤلمك سوط السائق؟

**لَهْفِي عَلَى غَفَلَاتِ أَيَّامٍ مَضَّتْ عَنِّي وَمَا لَهْفِي بِرَاجِعِ مَا مَضَى .**

يا دائرة الشقا: أين أولك؟ يا أرض التيه: متى آحرك؟ يا "أيوب" البلاء: كم تقيم على الكناسه؟ أما حان حين "اركض".

**خَلِيلِي مَا أَرْجُو مِنَ الْعَيْشِ بَعْدَمَا أَرَى حَاجَتِي تُشْرَى وَلَا تُشْتَرَى لِيَا**

يا محصرا عن الوصال لا في سفر الحج، وضالا عن الهدى لا يجزيه الهدى، يا منقطعاً في سبيل السلوك عن جملة الوفد، إذا احتسبت في مرض الهوى بموت الطرد، فتحامل إلى فناء خيمة أهل الوصل، وأشهد على وصيتك من المقبولين ذوي عدل، وناد بانكسار الذل على حسرة الفتوت.

**إِذَا مَا وَصَلْتُمْ سَالِمِينَ فَسَلِّمُوا عَلَى خَيْرَةِ الْمَعَالِي بَتَسْنَمُوا**

## الفصل الرابع والعشرون

### إياك والذنوب

أعظم المصائب شماتة الأعداء، وعداوة الشيطان قديمة من يوم "أبى وأستكبر" وحسد إبليس من يوم "أجعل" وفرح النظراء بك أعظم الكل، وما انتقم منك حاسد بأكثر من تفريطك، ولا انتقمت منه بأعظم من تقويمك، فالحظ كيف أبت نفسك الحظ وأنلت الحاسد المراد:

**مَا بَلَغَ الْأَعْدَاءَ مِنْ جَاهِلٍ مَا بَلَغَ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ**

ويحك تبصر عن الهوى تحمد عواقب السلامة

**فَإِنَّ الْمَرَّ حِينَ يَسُرُّ حِلْوٌ وَإِنَّ الْحِلْوَ حِينَ يَضُرُّ مُرٌّ**

**فَخُذْ مُرًّا تُصَادِفُ عَنْهُ حِلْوًا وَلَا تَعْدِلْ إِلَى حِلْوٍ يَضُرُّ**

إياك والذنوب، فلو لم يكن فيها إلا كراهة اللقاء كفى عقوبة. أطيب الأشياء عند "يعقوب" رؤية "يوسف" وأصعبها عند إخوته لقاؤه. إذا كان القلب نقياً ضج لحدوث المعصية، فإذا تكررت مرت عليه ولم ينكر، كانت الخطيئة عنده غريبة فاستوحش، فلما صارت بليد الطبع لم ينفر.

لايس الثوب الأسود لا يجزع من وقوع الخبر عليه، يا جرحى الذنوب قد عرفتهم المراهم، إن لم تقدرُوا على أجرة نائحة فنسكوا رؤوس الندم، فما يخفى صاحب المصيبة، فإن فاتكم عز "معاذ" فلا تعجزوا عن ذل الثلاثة الذين خلفوا.

خذوا دليل العزم إن لم تعرفوا سبيل الوصول، فلعل حيرة الطالب توقعه على ماء "مدين" سيروا في بوادي الدجى، وأنسخوا بوادي الذل في كسر الإنكسار، وأصيخوا بأسماع اليقظة لعل حذاء الواصلين تحرك أطراب القلوب، لا بل ربما عوق السائرون لوصول المنقطع، فكم قد صار في الرعيل الأول من كان في الساقاة؟ لا تملوا الوقوف ولو طردتم، ولا تقطعوا الاعتذار وإن رددتم، فإن فتح باب للواصلين دونكم اهجموها هجوم الكدائين، ونكسوا رؤوس الفقر، وابسطوا أكف "وتصدق علينا" لعل هاتف القبول يقول: "لا تثرِبَ عَلَيْكُمْ".

فَلَجَّوْا رِبْعَ الْحِمَى فِي خَطْرِي

وَأَذَكُرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبْرِي

بِالْحِمَى لَمْ أَقْضِ مِنْهَا وَطْرِي

ضَاعَ عُمْرِي فِي الْمُنَى وَاعْمُرِي

وَإِذَا جِئْتُمْ ثَنِيَاتِ اللَّوَى

وَصَفَّوْا شَوْقِي إِلَى سُكَّانِهِ

وَحِينَ نِي نَحْوَ أَيَّامٍ مَضَتْ

كُلَّمَا اسْتَقَّتْ تَمَنِّيَّتُكُمْ

الفصل الخامس والعشرون محبة الله سبحانه

الجنة ترضي منك بالزهد، والنار تندفع عنك بترك الدنيا، والمحبة لا تقنع إلا بالروح، إن سلطان المحبة لا يقبل الرشا. أيها الطالب لي: اخرج إليّ عنك، قلبك ضعيف لا يفني بي وبك، إما أنت وإما أنا، افقد نفسك تجديني. لما نسي "الخليل" نفسه قويت صولته يوم "أما إليك فلا" ما سلك قط طريقاً أطيب من تلك الفلاة التي دخلها عند انفصاله من المنجنيق. زيارة تسعى فيها أقدام الرضى على أرض الشوق شابهت ليلة "فرجني في النور" فقال: "ها أنتَ ورَبُّكَ".

نَشْرُ الْفَلَا بَيْنَنَا جَمراً لَزُرْنَاكَ

زُرْنَاكَ شَوْقاً وَلَوْ أَنَّ الْفَلَا بَسِطَتْ

لاحت أوصاف الصانع في جمال الكمال، فأشربت قلوبهم حبه، فصاح غلاء الثمن.

بدم المحب يباع وصلهم.

فأجاب عزم المحبة: وما غلّت نظرة منكم بسفك دم قلبهم الحب في قفر على أكف البلاء، فقطع أوداج الأغراض بسكين المسكنة، والمحجوب يقول "أتصبرون" والأرواح تجيب: "لا ضير"

لَا خَلَصَ اللَّهُ رُوحِي مِنْ مَحَبَّتِكُمْ

شَغَلَتْ نَفْسِي وَقَلْبِي فِي مَوَدَّتِكُمْ

هَاقَدْ غَضِبْتُ عَلَى نَفْسِي لِأَجْلِكُمْ      حَتَّى جَفَوْتُ حَيَاتِي بَعْدُ جَفَوْتِكُمْ  
إِذَا تَلَهَّبَ جَمْرُ الشَّوْقِ فِي كَبْدِي      أَطْفَاءُ مَاءِ التَّلَاقِي عِنْدَ رُؤْيَتِكُمْ

غاب القوم عن وجودهم شغلا بموجودهم طرق طارق باب "أبي يزيد" وقال: ههنا أبو يزيد؟ فصاح أبو يزيد: أبو يزيد يطلب أبا يزيد فما يراه!!!؟ لا يعرف رموز الأحباب إلا مجانس، سل ليلى عن حال الجنون؟ بلغت بهم المحبة إلى استحلاء الآلام لعلمهم أنها مراد الحبيب.

وكل ما يفعل المحبوب محبوب لما طعن "حرام بن ملحانط قال: فرت ورب الكعبة.  
ضني: سويد بن شعبة" على فراشه فكان يقول: والله ما أحب أن الله نقصني منه قلامه ظفر.

تَعْجَبُوا مِنْ تَمَنِّي الْقَلْبِ مَوْلَمَهُ      وَمَا دَرَوْا أَنَّهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

المحجوب محبو وإن عذب. استقرت جبال المحبة في أرض القلوب، فلم تزعزعها عواصف البلاء.  
أمر "الحجاج" بصلب "ماهان" العابد فوق خشبة، فصلب وهو يسبح ويعقد بيده حتى بلغ تسعا وعشرين، فبقي شهرا ويده على ذلك العقد.

لَتَحْشُرَنَّ عِظَامِي بَعْدَمَا بَكَيْتُ      يَوْمَ الْحِسَابِ وَفِيهَا حُبُّكُمْ عَلَقُ

إذا وقعت المعرفة في القلب سهل البلاء، فإن مازحتها المحبة فلا أثر للبلاء، لأن المحب يستلذ إذن كل أذى.

عَذَابُهُ فَيْكَ عَذَبٌ      وَبَعْدَهُ فَيْكَ قُرْبٌ

وَأَنْتَ عِنْدَهُ كَنَفْسِي      بَلْ أَنْتَ عِنْدِي أَحَبُّ

مروا على مجذوم قد قطعه الجذام فقالوا: لو تداويت، فقال: لو قطعتني قطعاً، ما ازددت له إلا حبا.

وَاعْجَبًا مَا لِلْعَذُولِ وَمَالَهُمْ      قَدْ رَضِيَ الْمَقْتُولُ كُلَّ الرِّضَا

## الفصل السادس والعشرون

### طلب العلم

العلم والعمل توأمان، أمهما علو الهمة. أيها الشاب: جوهر نفسك بدراسة العلم، وحلها بحلة العمل، فإن قبلت نصحي لم تصلح.

إلا لصدر سرير أو لدروة منبر من لم يعمل بعلمه، لم يدر ما معه، حامل المسك إذا كان مزكوما فلا حظ له فيما حمل. بحر قلب العالم يقذف إلى ساحل اللفظ جواهر النطق، فتلتقطها أكف الفهم.

تالله إن العالم لخاتم خنصر الدهر. العلماء غرباء في الدنيا لكثرة الجهال بينهم. تصنيف العالم: ولده المخلد. للعالم علم.

أيها المعلم: ثبت على المبتدي "وقدر في السرد" فالعالم رسوخ، والمتعلم قلق. ويا أيها الطالب: تواضع في الطلب، فإن التراب لما ذل لأخص القدم، صار طهورا للوجه، ولا يتأس مع مداومة الخير أن يقوى ضعفك، فالرمل مع الزمان يستحجر. صابر ليل البلاء، فبعين الصبر ترى فجر الأجر، ما يدرك منصب بلا نصب، ألا ترى إلى الشوك في جوار الورد.

أيها المبتدي: تلطف بنفسك، فمدارة الجاهل صعبة، تنقل من درج الرخص إلى سطوح العزائم ولا تيأس من المراد، فأول الغيث قطر ثم ينسكب.

ندم على حضور المجلس، فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضاع، فإذا صار رجلا صبر على الفطام، على أن الماء إذا كثر صدمه للحجر أثر. يا عطاش الهوى في تيه القوى: انخرقوا إلى جادة العلم، فكم في فيافي التعلم من عين تعين على قطع البادية.

يا جيرة الحي هبوا من رقادكم فلي حديث له مع سمعكم شغل

طريق الفضائل مشحونة بالبلاء، ليرجع عنها محث العزم، إذا نزلت بالحازم بلية فوجد مذاقها مرا، أدار في الفكر حلو العواقب، فنسخ وسخ ما رسخ. العاقل صابر للشدائد لعلمه بقرب الفرج، والجاهل على الضد، كما أن النار إذا اشتعلت في حطب الزيتون لم يدخن، بخلاف السوس، ألا إن الطبع طفل، والعقل بالغ.

وعاقبة الصبر الجميل جميلة فلا تسأمن الصبر وأصبر لعلها؟

## الفصل السابع والعشرون

### الدنيا لا تصلح للتوطن

إخواني: الدنيا ملتقى الوداع، فاصبروا لما مر منها فكأن قد مر، واحذروا شرها فقد سحرت سحرة بابل، مكارهها في غصون الحبوب وأعقابه، ما أمسى أحد منها في جناح آمن، إلا أصبح على قوادم خوف.

وكم سلبتك حبيباً وأنت على حبها أفيق

أفق قد أفاق الوامقون وقد أنى لدائك أن يلقي طبيباً يلائمهُ



أفنيت عمرك في طلبها، وما حصل بيدك إلا ما حصل بيد "المجنون" من "ليلي".

### صَحَا كُلُّ عَذْرِيٍّ الْغَرَامِ مِنَ الْهَوَىٰ وَأَنْتَ عَلَىٰ حُكْمِ الصَّبَابَةِ نَازِلٌ

تصحو في المجلس من خممار الدنيا ساعة ثم تستبيك حميا الكاس، وليس في البرق اللامع من مستمتع، لمن يخوض الظلمة، كما أعطف عطفك بلجام اليقظة، فإذا انقضى المجلس عاد الطبع ثاني عطفه. وتأبى الطباع على الناقل جسمك عندنا، وقبلك غائب عنا، عزمك في طلب الدنيا، وتشتهي نيل الآخرة.

### هَوَاهَا وَرَوَاهَا وَالسُّرَىٰ مِنْ أَمَامِهَا فَهِنَّ صِيحَاتُ النَّوَظِرِ حَوْلٌ

الدينان مفازة لا تصلح للتوطن، إن البيدر إذا صفى حمل إلى دار الإقامة. واعجبا لمن أطال الوقوف على القنطرة حتى نسي اسم البلد، ويحك. كسب الدنيا لذيد غير أن الحساب عليها شديد، ساعة الحمل لعب، والجد في الولادة. نثار السكر في مبدأ العقد. مزاج لمرارة الوضع. الدنيا كامرأة فاجرة لا تثبت مع زوج فلذلك عيب طلابها.

### مَيَّرَتْ بَيْنَ جَمَالِهَا وَقَعَالِهَا فَإِذَا الْمَلَاةُ بِالْخِيَانَةِ لَا تَقِي

### حَلَفْتُ لَنَا أَنْ لَا تَخُونَ عُهْدَهَا فَكَأَنَّمَا حَلَفْتَ لَنَا أَنْ لَا تَقِي

الدنيا قنطرة على بحر الهلاك، فخذوا بالحزم في تعلم السباحة قبل الجواز، فما تأمن عثور قدم ولا عاصف قاصف، احذرنا آمن ما تكون منها، وانتظر حزنها أسر ما تكون منها.

### إِذَا رَأَيْتَ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

الدنيا دار ابتلاء تشبه قصر مصر، استبق لآباب فيها "يوسف" الصبر، و"زليخا" الهوى، وقمص الأعمال تعرض على "يعقوب" الشفاعة، فمن رأى قميصه قد قد من قبل قال: سحقا سحقا، ومن رآه قد قد من دبر قال: ادخرت شفاعي.

فيامن قد ألقاه الهوى في حب حب الدنيا، سيارة القدر تبعث كل ليلة واردا: "هل من سائل؟" فكن متيقظا للوارد إذا أدلى دلو التخليص، وقم على قدم "تتجافى" وامتد أنامل "يدعون ربهم" وألق ما في يمينك لتتعجل الخروج، ولا تشبث بأرجاء بئر الهوى، فإنها رمل تنهار عليك، فإذا تخلصت بعزائمب الإنابة فاحذر من الطريق المسبعة، وسر في مصباح اليقين خلف دليل الهوى: فعند الصباح يحمد القوم السرى.

## الفصل الثامن والعشرون

## أقرب للناس حسابهم

صاح بالصحابة واعظ "أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ" فجزعت للخوف قلوب، فجرت للحزن عيون "فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةً بِقَدْرِهَا".  
رمى "الصديق" ماله حتى ثوبه على "المذكر" وتخلل بالعباء، وقال "عمر": ليتني كنت نبة وقال عثمان: ليتني إذا مت لا أبعث.  
صاح "علي" بالدنيا: طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، وقد كانت تكفي واحدة، لكنه كيلا يتصور الهوى جواز المراجعة، وطبعه الكريم يأنف من المحلل.  
وقال: "أبو الدرداء": ليتني كنت شجرة تعضد.  
وقال "عمران بن حصين" ليتني كنت رمادا.  
أنت تسمع القرآن لكن لا كما سمعوه.

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعَتْ كَلَامَهَا  
خَرُّوا الْعِزَّةَ رُكْعًا وَسُجُودًا

إقدام العارفين على التعبد، قد ألفت أقدامها الصفوف، تعتمد على سنايك الخوف، فإذا أثر النصب راوحت بين أرجل الرجاء.  
انقسم القوم عند الموت، فبعضهم صابر الخوف حتى انقضى نجه. "كعمر" كان يقول عند الرحيل: الويل لعمر إن لم يغفر له.  
ومنهم من أقلقه عطش الحذر، فتبرد بماء الرجا، "كبلال" كانت زوجته عند الموت تقول: واكرباه وهو يقول: واطرباه، غدا ألقى الأحبة، محمدا وصحبه، علم بلال أن الإمام لا ينسى المؤذن، فمزج الموت براحة الرجاء.

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ  
غَدًا تَرِينَ الطَّلَحَ وَالْجِبَالَ

قال "سليمان التيمي" لولده عند الموت: اقرأ علي أحاديث الرخص لألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به.  
إلى متى تتعب الرواحل ولا بد لها من مناخ:

رَفِقًا بِهَا يَا أَيُّهَا الزَّاجِرُ  
قَدَ لَاحَ سَلَعٌ وَبَدَا حَاجِرُ  
وَخَلَّهَا تَسْحَبُ أَرْسَانَهَا  
عَلَى الرِّبَا لَا رَاعِيهَا ذَاعِرُ  
وَأَذْكَرُ أَحَادِيثَ لِيَالِي مَنِي  
لَا عَدَمَ الْمَذْكَورُ وَالذَّاكِرُ

يا مخنث العزم: أين أنت والطريق نصب فيه "آدم"؟ وناح لأجله "نوح" ورمي في النار "الخليل" واضطجع للذبح "اسحاق" وبيع "يوسف" بدراهم بخس ونشر بالمناشير "زكريا" وذبح الحصور "يحيى" وضني بالبلاء "أيوب" وزاد على القدر بكاء "داود" وتنغص في الملك عيش "سليمان" وتخير بأرني "موسى" وهام مع الوحوش "عيسى" وعالج الفقر "محمد".

**فِيَا دَارَهَا بِالْحُزْنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ**

أول قدم في الطريق بذل الروح. هذه الجادة فأين السالك، هذا قميص "يوسف" فأين يعقوب هذا طور سينا فأين "موسى" يا جنيد احضر، يا "شبلي" اسمع.

**بِدَمِ الْمُحِبِّ يُبَاغُ وَصَلُّهُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْتَاعُ بِالسَّعْرِ**

## الفصل التاسع والعشرون

### في بديع خلق الله

حلل الوجود متلوثة الأصباغ تجلج على عرائس الموجودات لتروق أعين العباد، واعجبا! لو دخلت بين ملك لم تزل تعجب من نقوشه. فارفع بصر التفكير، واخفض عين البصيرة، فهل رأيت أحسن من هذا الكون؟ اخرج من ديار إديبارك، واعبر من معبر اعتبارك، قف في بقاع قاع ترى كيف نمت حضرة حضرته بأسرار الخالق، إذا نمت تلح أصناف النبات في ثياب الثبات، قد برز في عيد الربيع يمس طربا فرحا بالري، تأمل مختلف الألوان في الغصن الواحد، كيف صاغها صانع القدرة؟؟ تلمح إشارتها كيف ترشد الغافلين إلى صانعها؟؟ وهم مشغولون في خضم مأكّل الهوى. اسمع الورق على عيدان الورق، لعل مقاطع السجوع توجب رجوع المقاطع.

**وَلَقَدْ أَشْكَو فَمَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ تَشْكَو فَمَا تَفْهَمُنِي**

**غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضاً بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي**

واعدجبا كيف تتفكر بالغير وتنسى نفسك؟؟ تأمل بعين الفكر نطفة مغموسة في دم الحيض، ونقاش القدرى يشق سمعها وبصرها من غير مساس، بينما هي ترف في ثوب نطفة اكتست رداء علقه، ثم اكتست صفة مضغة، ثم انقسمت إلى لحم وعظم، فاستترت من يدي الأذى بوقاية جلد، ثم خرجت في صفة طفل، ثم اترقت مراقبي الصبي، فندرجت إلى نطاق النطق، وتشبثت بذيل الفهم، فكم من مصوت صوت بين أرجل التنقل، من تحريك جلاجل العبر، في خلاخل الفكر.

كلما رنت غنت ألسن الهدى في مغاني المعاني، وكيف يسمع أطروش الشقوة؟ هيهات ليس للمزكوم من الورد نصيين ولا للمسجون من العيد حظ، فإن كنت تعرف هذه العجائب ولا تتعجب منها، فتعجب من عدم تعجبك.

كيف عدمت التفكير مع آلات الفهم، وأعميت بصيرتك بعد رؤية الحق، فإن أعجب أفعال القدرة ولقد "أضله الله على علم".

## الفصل الثلاثون

### الناس فقراء إلى الله تعالى

لطف الحق بعبده قديم، لما أظهر الولد أجرى له عين اللبن تغربل قطرها عيون الثدي، وبذر في قلب الوالدين حب الحب، حتى جدا في اللطف جدا، فلما عرف المنعم أنفق النعم في المعاصي.

**وَكَمْ لَيْلَةٌ قَدْ بَاتَ عَارٍ مِنَ النَّقَى يُغْطِيهِ سِتْرُ الْحِلْمِ يَا لَيْتَهُ دَرَى**

ولما بلغ أشده استوى على ظهر متن المبارزة: لمن؟ مع من؟ إلى أين؟ من أنت؟ من أنا؟.

لحا لله من لا ينفَعُ الوُدُّ عنده

يا هذا: لنا بك لطف يزيد على كل لطف، إذا تبت من الذنب أنسينا الملك ما كتب وإذا حاسبناك سترناك كيلا يرى الخلق اصفرار لونك بالخجل، يا طاهر الفطرة: لا تتدنس بأنجاس الزلل، شمر أذيال التقى عن مزبلة الهوى، واحذر رشاش الخطأ أن ينتضح أثواب النظافة.

وحل التكليف يحتاج إلى قوة التحرز، فانظر بين يديك "فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات" فعيون العيون تغسل أدران القلوب.

كان أول أمرك سليما يوم "وأشهدهم على أنفسهم" فأصلح آخر أمرك تسامح في الوسط. يا طويل الغيبة عن وطن "ألست" أين حنين شوقك.

**نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَالِحِبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأُولِ**

يا معرضا عنا: بمن تعوضت؟ يا ملتفتا عنا: لماذا فوضت؟؟ قف على الدرب وأنشد طعائن الغادين.

**أَلَا خَبَرْنَا أَيْنَ زُمَّتَ رِكَابُكُمْ وَأَيْنَ اسْتَقَرَّتْ هُوجُكُمْ وَمَطَاكُمْ**

أين المذنبين أحب إلي من زجل المسيحين.

المطيع يدل بالعمل، والمذنب ذليل بالزلل، والمخطيء يحرك أوتار الوجل، وينشد بتطريب الخجل.

مَنْ مُعِيدٌ ذِي الْأَثَلِ أَوْ مَا

قَلَّ مِنْهَا دِينًا عَلَيَّ وَفَرَضَا

سَامِحًا بِالْقَلِيلِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ

واعجبا يستقرض المالك قطرة من الدمع، وقد خلق سبعة أبحر "لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" وقد بعث رسالة "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ الْكَبِيرَاءَ رِدَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: جَعَتِ فَلَمْ تَطْعَمَنِي قَطَعَ أَعْنَاقَ الْأَلْسُنِ أَنْ تَعْتَرِضَ بِحَسَامٍ" لا يَسْأَلُ" ثم أقبل بإنعام؟ هل من سائل.

ما يسعه مسكسن، ويسعه قلب من تمسكن، غاب عن الأبصار، وبدا للبصائر. واعجبا يتحجب إليك وهو عنك غني، وتممقت إليه فقير، إن تأخرت قربك، وإن توانيت عاتبك، ما آثر عليك من المخلوقات شيئا، وأنت تؤثر عليه كل شيء، فنكس رأس الندم، قبل العتاب، فمالك عن هذا جواب.

سَتَنْشُرُ يَوْمًا وَالْحِسَابُ يَطُولُ

صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوِيئَةً

## الفصل الحادي والثلاثون

### تضرع الصالحين

لما رأى الصالحون سطوة الدنيا بأهلها، وتملك الشيطان قياد النفوس، لجأوا إلى حرم التضرع، كما يأوي الصيد المذعور إلى الحرم.

فلو رأيتهم يمشون في ثياب التجمل، عليهم قناع القناعة "يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ" ينامون ولا نوم الغرقى، ويأكلون ولا أكل الثكلى تأكل كل يوم المصيبة، ولكن هدم الحزن أكثر من بناء العزاء. لو كانت لك عين بصيرة عرفت القوم، وخط الولاية على وجه الولي قلم هندي، لا يعرفه إلا عالم به، تلمح القوم بأعين البصائر العواقب، ولم يروا عائقا عن المطلوب سوى النفس، فتلطفوا لتقهرها بحيلة لا يعرفها "ابن هند" ولا يعلمها "ابن العاص" فلما أسروها فتكوا فيها، ولا فتك ابن طملجم "قلوب أسود" في صدور رجال

إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ ذَا الْعَزَمِ مِنْهُمْ رَأَيْتَ لَيْثًا قَدْ حُورِبَ

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ

هبت زعازع الفكر، فقلبت أرض القلوب، فألقى فيها بذر العزائم، فسقته مزن الجدد، فدبت الأرواح في أغصان المعاملة، فظهرت أزهارها، إذا رأوا ذكر الله ففاح عبير النور، أطيب عرفا من مسك، فقويت

بريحه نفوس المريدين.

لا يحصل خطير إلا بخطر، فاحنس في خيسك، يا مخنث العزم، الريح في ركوب البحر، الدر في فعر اليم، العلم في ترك النوم، الفخر في هجر النفس.

من يجب العز يدأب إليه، فكذا من طلب الدر غاص عليه، لولا التخلل بالعبا ما جاءت مدحة "أنا عنك راض" لأبي بكر" ولولا إرسال البراءة إلى الضرة: طلقك ثلاثا، ما اشتاقت الجنة إلى "علي".

لَوْ قَرِبَ الدَّرُّ عَلَى جَلَابِهِ      مَا لَجَّ الغَائِصُ فِي طَلَابِهِ  
وَلَوْ أَقَامَ لِأَزْمَاءِ أَصْدَاقِهِ      لَمْ تَكُنْ التَّيْجَانُ فِي حِسَابِهِ  
مَنْ يَعِشُقُ العَلِيَاءَ يَلِقُ عِنْدَهَا      مَا لَقِيَ المُحِبُّ مِنْ أَحْبَابِهِ

## الفصل الثاني والثلاثون

### الإيمان بالقدر

إذا أراد القدر نفع شخص هياً قلبه لقبول النصائح، وساق إليه موعظة على فراغ الفكر، سوق المطر إلى الرض الجزر "فَنُخْرِجَ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ" فإذا عرض القدر عن شخص، ألقاه في بحر من الغفلة لحي، فكلما فتح عينيه رأى ظلمات بعضها فوق بعض. نجائب السلامة مهياًة للمراد، وأقدار المطرود موثقة بقيود الغفلة، كم يتمنى المردود أن يصل، وهيهات "ياأبي القدر" كم محرم محروم صد من قبل.

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى رَمَلَةَ الحِمَى      إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنِي قِلَالُهَا  
وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مِنْ يَسْكُنُ الغَضَا      بِأَوْلَ رَاجِ حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا

المخلوق هدف، والمقادير سهام، والرامي من تعلم، فما الحيلة؟؟ صوارم القدر إذا هزت تقلقلت رقاب المقربين، إذا غضب على قوم فلم تنفعهم الحسنات، ورضي عن قوم فلم تضرهم السيئات، هبت عواصف الأقدار.

فخب بحر التكليف، وتقلبت بيداء الوجود بساكني الأكوان، فانقلعت أطناب الأنساب، ووقعت خيم المتكبرين، فانقلب قصر "قيصرط وتبدد شمل" "أبي طالب" ووهي عمل "أبي جهل" وانكسر جيش كسرى" وانبت جبل صاحب "تبت" فلما طلع الفجر، وركد البحر، إذا "أبو طالب" غريق في لجة اليم، و

"سلمان" على ساحل السلام، و "الوليد بن المغيرة" يقدم قومه في التيه. و "صهيب" قد قدم من قافلة الروم، وأبوجهل في رقدة المخلفة، و "بلال" ينادي: الصلاة خير من النوم.

## الفصل الثالث والثلاثون

### عقوبة الحرص على الدنيا

الدنيا نهر طالوت، والفضائل قد نادت "فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي" فإذا قامت القافلة مقام ابن أم مكتوم" وقع لها "إلا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً" فأما أهل الغفلة فارتووا، فلما قام حرب الهوى البطننة، فنادوا بألسنة العجز "لا طاقةَ لنا اليومَ بجالوت" وأقبل مصفر الجسد، فحاز قصب السبق بالظفر.  
الدنيا ظل، إن أعرضت عن ظلك لحقك، وإن طلبته تقاصر، احدمي من خدمي، واستخدمني من خدمك.

الزاهد لا يلتفت إلى الظل، فيتبعه الظل، والحرص كلما التفت لم يره.  
أيها الحرص على الدنيا: إلى كم تهيم في بيداء التحير؟؟ "كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ" أحرصك حد؟ أم لأملك منتهى؟ ويحك: إن البحر لا يتزف، فاقنع بالري. ويحك: سير التواني لا ينقطع، هيهات أن يستغني من لا يكفيه ما بكفه، ويحك: إن المفروح به هو المحزون عليه لو فطنت.  
الدنيا خمر، كلما شرب منها الحرص زاد عطشه، ادرع من ثوب القناعة ما يشمل ك الأطراف، فالقناعة تدفع بالراحة في صدور الهم، وتهدي الراحة إلى تعب القلب.  
وَكُلُّ الشَّرِّ فِي الشَّرِّهِ وَكَمْ مِنْ شَارِبٍ شَرِقَ قَبْلَ الرِّي، وإنما اللذة خناق من غسل.  
وقع نخل على نيلوفر فأعجبه ريحه، فأقام على ورقه المنتشر، فلما جاء الليل تقبض الورق، وغاص في الماء، فهلك النخل.

حرصك غيم وعقلك شمس، والغيم يحجب القلب عن مشاهدة الآخرة، فابعث شمال العزم يمزق شملة شملة.

عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك، وشرب الماء على الري يورث الاستسقاء، ما أمنعك من الدنيا!! ولكن الحمة قرين العسل. ليس للحرص عيش، وأي عيش لمن يصبح وما شبع؟؟ ويمسي وما قنع؟ وتراه أحير من "بقة" في حقة خلف ما لا يساوي جناح "بعوضة ط".

إنما المراد من الدنيا ما يصلح البدن ليسعى فيما خلق له، فلاشتغال بالتزويد عائد بالنقص في المقصود، إن جامع الأموال لغير البلاغ خازن للورثة، فهو يحرق نفسه بنار الحرص، وينتفع بريح جمعه غيره، كانتفاع

الناس بعرف العود المحترق .

كم قتلت الدنيا قبلك، كما أهلك حبها مثلك؟

كَم بِالْمُحَصَّبِ مِنْ عَلِيلٍ هَوَى طَرِيحٍ لَا يُعَلِّ

وَكَمْ قَتِيلٍ بَيْنَ خَيْفٍ مِنِّي وَجَمْعٍ لَيْسَ يُعْقَلُ

يا كنعان الأمل يا "نمورد" الحيل، يا "ثعلبة" البخل، يا "نعمان" الزلل، أنت في جمع الأموال شبه "حاطب" وفي تبذير العمر رفيق "حاتم" تمشي في الأمل على طريق "أشعب" فكيف بك إذا ندمت ندامة "الكسعي".

وَكَمْ طَالِبٍ أَمْرًا وَفِيهِ حِمَامُهُ      وَسَائِرَةٌ تَسْعَى إِلَى مَا يَضُرُّهَا

ألقيت نفسك في حب الدنيا، فمتى يخلصك وارد الزهد، تسمع نغمات الفرخ: يا بشرى.

## الفصل الرابع والثلاثون

### في قيام الليل

يا جامدا على طبع وضعه، يحرك إلى قلب طبعه، انظر لماذا خلقت، وما المراد منك، رض مهر النفس يتأتى ركوبه، أمت زئبق الطبع يمكن استعماله، تلمح فجر الأجر ظلام التكليف، أرق خمر الهوى فما يفلتك صاحب الشرطة.

بجر طبعك أجاج، وماء قلبك عذب، والعقل بينهما قائم مقام الخضر، فيا "موسى" الطلبك لا تبرح عن السلوك حتى تبلغ مجمع البحرين. قف على قدم الصبر، وإن طال الوقوف، تجلس سعلى مقلوب كرسي؟. يا نائما طول الليل: سارت الرفقة، طلعت شمس الشيب وما انتهت الرقدة، لو قمت وقت السحر رأيت طريق العباد قد غص بالزحام، ولو وردت ماء مدين وجدت عليه أمة من الناس يسقون. واسحرة ليل القوم ما أضوأها، قاموا على أقدام التحير بين ركن الحذر، وشارع الشوق، يسترهم ذيل الليل تحت مخيم الظلام، وإن ناحوا فأشجى من متيم، وإن ندبوا فأفصح من "حنسا".

هُنَاكَ الضالُّ والرندا

أُنَيْنِ يُشْبِهُ الرعدا

سَقَوْا بِمِيَاهِ أَعْيُنِهِمْ

بِأَنْفَاسِ كَبْرَقِ فِي



لاحت لهم الجادة فلما سلكوا "قالوا ربُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" هيهات منك غبار ذلك الموكب.  
 أملهم أقصر من فتر، ومنازلهم أفقر من قبر، نومهم أعز من الوفاء، أخيرا هم أرق من النسيم، السهر  
 عندهم أحلى من إغفاءة الفجر، كلما افتتحوها سورة وجدوا بها وجد "يعقوب" بمقيص "يوسف".  
 احضر وقت السحر مع القوم حين تفريق الخلع، فإن لم تصلح أسهمت من نصيب "وإذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ  
 أُولُوا الْقُرْبَى".

لو سعدت من صدرك سعداء أنفاس الأسف لأثارت سحابا يقطر من قطرية قطر العفو، لو أرسلت عبرة  
 من جفن على جفاء عادت فأعادت نحس الزلل جفاء.  
 أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي، ولا تضرب بالحجر بل بنفس المحتاجز وعذري إقراري بأن ليس لي عذر.  
 إذا سارت ركائب الأسحار فابعث معهم رسالة لهف تحتوي على عسرة محصر.

يا سائق العيسِ تَرَفَّقْ وَاسْتَمِعْ  
 عَرِّضْ بِذِكْرِي عِنْدَهُمْ عَسَاهُمْ  
 قُلْ: ذَلِكَ الْمَحْبُوسُ عَنْ قَصْدِكُمْ  
 يَقُولُ: أَمَلْتُ بِأَنْ أَزُورَكُمْ  
 مَنِي وَبَلَغَ إِنْ وَصَلَتْ عَنِّي  
 إِنْ سَمَعُوكَ سَائِلُوكَ عَنِّي  
 مُعَذِّبُ الْقَلْبِ بِكُلِّ فَنٍّ  
 فِي جُمْلَةِ الْوَفْدِ فَخَابَ ظَنِّي.

## الفصل الخامس والثلاثون

### في علو الهمة

يا طالبا للبقاء في غير معدنه، يا مقدر النجاة في عقبة التلف، بادر عمرا كل يوم يهدمه المعمار، أليس آخر  
 البقاء الفناء؟ كفى بالانتهاة قصرا.  
 ويحك، اخرج بالزهد من هذا الفناء المحشو بالفناء إلى حضرة القدس، وإعراض النفس، فهناك لا يتعذر  
 مطلوب، ولا يفقد محبوب.  
 يا هذا: أعرف أدلتك بالطريق قلبك، وأجهل الكل بالسييل نفسك، فسر على وفاق القلب لا على مراد  
 النفس.

هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي وَقَدَامِي الْهَوَى  
 وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمُخْتَلِفَانِ

يا ذا الهمة: اركب مطايا الجد وإن طال السرى. علامة التوفيق فصم عرى التواني، وآية الخذلان مسامرة  
 الأمانى.

الهوى يحرض على العاجل، فلو لاحت من فارس عزيمة إقدام نكص الشيطان على عقبيه. يا محب الدنيا: قيمتك محبوبك، لو علت همتك لارتفعت عن الدنيا، يا مدعي مقام الخليل: مالك والخلة. لاح لك من الهوى أقل شيء فآثرته علينا، لقد كان دينار عملك مستورا لولا محك "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ"

### وَفِي حَالَةِ السَّخَطِ لَا فِي الرِّضَا يُبَيِّنُ الْمُحِبُّ مِنَ الْمُبْغِضِ

قلبك غائب في طلب الدنيا، فقد ضاع الحديث معك، إن الهدف إذا الهدم بطل الشباب، قلعت سكر الهوى فردمت به باب القلب، فلم يصل إليه سبيل المواعظ.

### لَيْسَ يَحِيكُ الْمَلَامُ فِي هِمِّ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا

خرجت عن عمران التقوى، فوقع في فقر الزلل.

### غَرَكَ سَرَابُ الطَّمَعِ فَمَتُّ سَرِيعِ الظَّمَا انْقَرَضَ العُمُرُ فِي مَحَاقِ العَذْرِ

وَمِنَ العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَرَمِ كم قد عزمت على طاعة وتوبة؟ ما ليلى الهوى ما تبصر توبة؟ تبيت من الغرام في شعار "أويس" فإذا أصبحت أخذت طريق "قيس" تنقض عرى العزائم عروة عروة، وكل صريع بالهوى رفيق "عروة" كما دفنت كثيرا من الأعزة، وهل يرجع "كثير" عن حب "عزة".

### جُنُونَكَ مَجْنُونٌ وَأَسْتُ بِوَاجِدِ طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِي

## الفصل السادس والثلاثون

### الحذر من النفاق

أصدق في باطنك ترى ما تحب في ظاهره، رش سهم عملك بريش إخلاصك في مقصدك تصب هدف الأمل. واعجبا!! قوسك مكسورة بالزلل، ووترك مقطوع بالكسل، فكيف تناول صدر الغرض؟ إذا أردت العلو فارتق درج التقوى، وإن شئت العز فضع جبهة التواضع، وإن آثرت الرياسة فارفع قواعد الإخلاص، فوالله ما تحصل المناصب بالمنى.

### فَدِينَارُ المُبْهَرَجِ وَإِنْ نَفَقَ مَرْدُودٌ وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالهوى غَيْرُ أَهْلِهِ

إذا نزلت عن مطية الإخلاص، مشيت في حسك التعثر، فتقطعت قدم القصد، ولم ينقطع المترل، الرياء أصل النفاق، نفاق المنافقين صير المسجد مزبلة، فقال المتره "لا تَقُمْ فِيهِ" وإخلاص المخلصين رفع قدر الوسخ "رب أشعث أغبر".

إذا هبت زعازع المنافقة لم تضر شجرة الإخلاص، لأن أصلها ثابت، فأما شجرة الرياء فعند نسيم  
 "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ" اجتثت من فوق الأرض.  
 لا تنظر إلى جولة الباطل، وارتقب دولة الحق، إذا رأيت منافقا قد تبع فتذكر "الدجال" غدا، و  
 "السامري" بالأمس، وانتظر للسامري "لا مَسَاس" ولألألد باب لد.  
 شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة، وشجرة الدباء تصعد في أسبوعين، فتدرك الصنوبر فتقول "شجرة  
 الدباء: إن الطريق التي قطعت في ثلاثين سنة قد قطعها في أسبوعين، فيقال لك شجرة ولي شجرة!!  
 فتجيبها: مهلا إلى أن تهب ريح الخريف.  
 وكم من متشبه بالصالحين في تخشعه ولباسه، وأفواه القلوب تنفر من طعم مذاقه "وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ  
 يُحْسِنُونَ صُنْعًا".  
 في ظلمة الليل يتشبه الشجر بالرجال، فإذا طلع الفجر بان الفرق. في وقت الضحى يتمثل السراب بالماء،  
 فمن قرب منه لم يجده شيئا. وأسفا: ما أكثر الزور.

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نساءه

تراهم كالنخل، وما تدري ما الدخل.  
 أيها المرائي: قلب من ترائيه بيد من تعصيه لا تنقش على الدرهم الزائف اسم الملك، فما كل سوداء تمر،  
 ولا يتبهرج الشحم بالورم.

## الفصل السابع والثلاثون

### مجلس التوبة

مجلس الذكر مأمم الأحزان، هذا يبكي لذنوبه، وهذا يندب لعيوبه، وهذا على فوت مطلوبه، وهذا  
 الإعراض محبوبه.

يَتَشَاكِي الْوَاجِدُونَ جَوِيَّ وَاحِدًا وَالْوَجْدُ أَلْوَانُ

أندرونن هذا التائب لم أن؟ وهذا الحزن كيف حن؟ ن ذكر عهدا كان قد صفا ثم تكدر، فأنزعج لحال  
 حال وتغير.

مَنَازِلُ كُنْتُ تَهَوَّاهَا وَتَأَلَّفَهَا أَيَّامَ أَنْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مَنصُورُ

من سمع نوح الحمام ظن أنه لحسن صوته غنى بل لما ذكر من ماضي العيش.

وَإِذَا الْغَرِيبُ صَبَا إِلَى أَوْطَانِهِ      شَوْقًا فَمَعْنَاهُ إِلَى أَحْبَابِهِ

إنما يبكي المذنب على ديار قد عمرها بالتقوى، كيف أحربتها الذنوب؟

إِذَا ذَكَرْتَ نَجْدًا وَطَيْبَ تُرَابُهُ      وَبَرَدَ حِصَاهُ آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّتْ  
تَمَنَّتْ أَحَالِيبَ الرَّعَاءِ وَخِيْمَةَ      بِنَجْدٍ وَلَمْ يَحْصُلْ لَهَا مَا تَمَنَّتْ

يا من كان له معاملة فترك، يامن خلط الدستور وضرب على الحساب، زمان الوصال يستحق البكاء،  
أطلال الحبيب تستوجب القلق.

مَاءُ النُّفَيْبِ وَلَوْ مِقْدَارَ مَضْمَضَةٍ      شِفَاءُ قَلْبِي وَغَيْرُ الْمَاءِ يَشْفِينِي

الوقت يقتضيك يا عاص، فبادر بالتوبة، منادي الوصال على باب القبول يصيح "وسارعوا".

الغَيْمُ رَطْبٌ يُنَادِي      يَا نَائِمِينَ الصَّبُوحُ  
فَقَلْتُ أَهْلًا وَسَهْلًا      مَا دَامَ فِي الْجِسْمِ رُوحُ

يا من كان له قلب: أين قلبك؟ يا زمان الخيف: هل من عودة إن كنت فقدت قلبك فلا تياس من  
وجوده.

فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتَيْتَيْنِ بَعْدَمَا      يَظَنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلْقِيَا

سر بوادي الطَّلبِ، مُسْتَعِيثًا بِلِسَانِ الطَّرْبِ

رُدُّوا عَلَى لِيَالِيِ التِّي سَلَفَتْ      لَمْ أَنْسَهُنَّ وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمِ

ودع طبعك لسفر التوبة، وارفق شرعك في طريق الصحبة، واجهد راحلتك لتلحق الرفقة، وهياً للإحرام  
قبل الوقفة، وانفذ الوية الشوق إلى منى قبل نخلة، لعل رسالة الحب تصل من صاحب الكعبة.  
ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي ويأتي الجواب: وإني إلى لقائهم أشوق.

## الفصل الثامن والثلاثون

### في صدق العبادة

لا تعجبوا بصورة التعبد، وتلمحوا أحسن المقصد؟ ليس كل مصل متعبد، ولا كل صائم بزاهد، ولا كل  
باك بخاشع، ولا كل متصوف بصاف.

وَمَا كُلُّ مَنْ آوَى إِلَى الْعِزِّ نَالَهُ  
وَدَوْنَ الْعُلَى ضَرْبٌ يُدْمِي النَّوَصِيَا  
لَيْسَ كُلُّ مُسْتَدِيرٍ يَكُونُ هِلَالًا، لَا، لَا لَيْسَ التَّكَلُّ فِي الْعَيْنِينَ كَالْكَحْلِ

كم حول معروف من دفين ذهب اسمه كما بلي رسمه ومعروف معروف.

وَمَا كُلُّ دَارٍ قَفْرَةٌ دَارَةُ الْحُمَى  
وَلَا كُلُّ بَيْضَاءَ التَّرَائِبِ زَيْنَبُ

ذهب أهل التحقيق، وبقيت بنيات الطريق، واعجبا!! لقد رجل القوم، وتخلف أهل السنة والنوم، حلت البقاع من الأحباب، وتبدلت العمارة بالخراب.

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ عِنْدَكَ خُبْرٌ  
أَيْنَ سَارُوا وَهَلْ لَهُمْ مُسْتَقَرُّ

كان المشايخ في قديم الزمان أصحاب قدم، والمريدون أرباب ألم، فذهب القدم والألم، كان المريد يسأل عن غصة، والشيخ يعرف القصة، واليوم لا قصة ولا غصة، كان الصوفية قديما يسخرون بالشیطان، والآن يسخر الشيطان بالقوم. كان الزهد في بواطن القلوب، فصار في ظواهر الثياب.

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْخَلَائِقِ إِنَّهَا  
مُسَلَّمَةٌ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَمَأْتَمٌ

ويحك: صوف قلبك لا جسمك، وأصلح نيتك لا مرقعتك، إذا كان العلوي ثابت النسب لم يحتج إلى ضفيرتين، أخذوا ومالك بعير؟ أتمد قوسا وما لها وتر؟ تتجشأ من غير شبع؟ واعجبا!! من وحمى بلا حبل. إن لم تكن "يعقوب" الأمل، فلا تكن "زليخا" الهوى. وأسفا لقلوب أذاها حب الدنيا، ولأسماع آمالها "حديث خرافة، يتلاعب بها الغرور في بحر الهوى تلاعب الموج بالفريق.

صح بالمنقطعين في بوادي الغفلة؛ ترى أي ذنب اقتطعهم. أين تعبد "السري"؟ أين جد "الجنيد"؟ أين مجاهدة "أبي يزيد"؟ أين جوع "الشليط"؟ يا راضيا بصفة "ابن أدهم" أين عزم "إبراهيم"؟.

أما الخيام فإنها كخيامهم.

انكسر مغزل "رابعة" وبقي قطن "الحلاج".

لم تبق إلا روايات وأخبار

أَيُّهَا الْحَادِي بِأَحْدَاجِ الْجَمَالِ  
لَا تَنْخُ بِالرَّبْعِ إِنَّ الرَّبْعَ خَالِي

مَا عَسَى أَنْ تَرْتَجِي مَنْ دِمْنٍ  
أَقْفَرْتَ مِنْ أَهْلِهَا فَهِيَ خَوَالِي

قَدْ عَفَّتْ أَطْلَالُهَا وَأَنْدَرَسَتْ  
قَفِ بِنَا نَبْكَي لِأَطْلَالِ بُوَالِي

لَهْفَ نَفْسِي لِلَّيَالِ سَلَفَتْ  
أَهْ هَلْ تَرْجَعُ لِي تِلْكَ اللَّيَالِي

لا تَقُلْ لي: بِمَنِي تُعْطَى الْمَنَى      بِمَنِي كَانَ مِنَ الْقَوْمِ انفِصَالِي

## الفصل التاسع والثلاثون

### القناعة

أيها المبتلي بحب الدنيا وما ينال منها إلا ما قدر له، كم مرزوق لا يتعب؟ وكم تعب من لا يرزق؟ هذا "موسى يقول" أرني "وما أري و"محمد" يزعج من منامه وما طلب.

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَإِبْتِلَانِي بِحُبِّهَا      فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلِي إِبْتِلَانِيَا  
يَا هَذَا: مَحَبَّةُ الدُّنْيَا مِحْنَةٌ      دَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلِي

إِنْ أَقْبَلْتَ شَغَلْتَ وَإِنْ أَدْبَرْتَ قَتَلْتَ

وَيَلَاهُ إِنْ نَظَرْتَ وَإِنْ هِيَ أَعْرَضَتْ      وَقَعُ السِّهَامُ وَنَزَعُهُنَّ أَلِيمٌ

ويحك: إن الفقر أصلح لك، وإن فقد الدنيا أرفق بك، غير أن الهوى لا ينظر العواقب، كم في طي مكروهك مصلحة، لو زالت غشاوة العين أبصرتها.

فسبحان من قضى على الكامل بمدارة الطبع الجاهل، ناظر العقل إلى الأخير ناظر، والطمع لا يرى إلا الحاضر، وكم يتعب الشيخ في تقويم الطفل؟؟ إنك لم فسحت لنفسك في هواها، ضيقت عليك طريق الخلاص، إنها لتبذر بضاعة العمر بكف التمزيق، كالحرقاء وجدت صوفاً. يا مستغيثاً من الفقر بألسنة الشكوى، حبس الفقر حصن، على أنه داء الكرام. الفقر جب، والفاقة غيابة، والشهوات رق. "الدنيا سجن المؤمن".

فيا "يوسف" الطلب: ذق مرارة الحب، وكمد الغيابة، وصابر رق البيع، ودار السجن، لعلك تخرج إلى مملكة "اجعلني على خزائن الأرض" دافع ليل البلى، فما أسرع فجر الأجر "أليس على خزائن الأربض" الفقر من الدنيا عدم كله وجود، والغنى فيها وجود كله عدم.

عرضت على نبينا "صلى الله عليه وسلم" بطحاء مكة ذهباً فأبى.

يا "محمد" ممن تعلمت القناعة؟ قال لسان حاله: من عجلة أبي.

كان الرجل من الصحابة يدعى إلى المال حالاً فيقول: لا، لا.

يا معاشر الفقراء: زينوا حلة الفقر بحلية الكتمان، فالفقراء الصبر جلساء الله، اصبروا على عطش الفاقة،

فالخرة تجوع ولا تأكل بثدينها، إن سألتهم فاسألوا مولاكم، فإن سؤال العبد غير سيده تشنيع على السيد. يا معاشر الغافلين والواقفين مع الأسباب، إنما المعطي والمانع واحد "فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَاداً" إذا عرضت حاجة فتعرضوا بالخراب، واكتفوا من السؤال بالخدمة أتشتغلون بنا وننساكم؟ كلا "من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين".

### وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً      فَلِقَاؤُهُ يُغْنِيكَ وَالتَّسْلِيمُ

ويحك: إن الفقير الصادق يترك الدنيا أنفة، رآها مقاطعة فقاطع، جاز على جيفة مستحيلة فسد منخر الظرف وأسرع، سلك سبيل القناعة فوقع على كثر ما وجده "الإسكندر" فقلبه أغنى من "فارون" وبيته أفرغ من فؤاد أم "موسى".

### وَمَنْ كَانَ فِي ثَوْبِ الْقَنَاعَةِ رَافِلاً أَصَابَ الْغِنَى فِي الْفَقْرِ وَالْخَصَبِ فِي الْمَحَلِّ

إذا حشر الفقراء يوم القيامة بادورا باب الجنة فتقول لهم الملائكة: فقوا فهذا يوم الحساب، فينفضون أكمام الإدلال من يد المعوق، ويقولون: هل أعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه؟؟

### الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ      لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

الفصل الأربعون ذم الحرص على المال يا مشغولاً بالعمل للدنيا، والدنيا تعمل فيه، تجمع ما يفرقك، وتوصل ما يمزقك، ويحك: أتبني قصراً وتهدم مصراً؟ إن لم تعرف عيوبها "فاخبر تقهل".  
داء الآدمي الهوى، وعلاجه الحسم، متى استعجل الداء، فالكي أنفع، وما يفيدك من جار السوء التوقي.  
المال ماء كلما زاد غرق. قنعت العنكبوت بزاوية البيت فسبق الحريص إليها وهو الذباب، فصار قوتا لها، وصوت بك نذير العبر: رب ساع لقاعد.

ويحك: طلق كواذب آمالك، لتكون وارث مالك. أعظم المغبونين حسرة من نفع كده لغيره. أفضل أعمال البخيل الصدقة لأنه يحارب شيطانين أصغرهما إبليس، وأعظمهما النفس وجنودها، ومن يقوى بأسد الحرص، وقلب الهوى، وختير الشره؟؟!

امدد يديك بالصدقة فإن لم تطق فاكفهما عن الظلم، أطلق لسانك بالذكر، فإن لم تطق فاحبسه عن الغيبة.

كم يقف السائل سائل الدمع على باب الذل لديك فتقول: هذا هذاء.

كلام الجائع عند الشبعان كله هذيان. ويحك: إن الدقة صدق الجنة، فدع جمع الأكياس "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا".

انظر في أخلاق الفقير لا في إخلاقه وما ضرَّ نصلُ السيفِ إخلاقُ غمده

إن أعطيت فاحذر منا يتأذى به المعروف. وبحك: كلما عاش أملك مات الفقراء.

كَأَنِّي كُلَّمَا أَصْبَحْتُ أُعْتَبُهُ      أَخْطُ حَرْفًا عَلَى صَفْحِ مِنَ الْمَاءِ

واعجباً! لمن يجمع الأموال جمع الثريا نفسها، كيف تأتي الأقدار فتفرقه تفريق بنات نعش، يا كدر القلب: آثار كدر باطنك ما تخفى على ناظر، إن أسرار القلوب تبين ما في وجوده الوجنات.

لو سمعت كلامي بقلبك كان طول الأسبوع نصب عينيك، وإنما تسمعه بأذنك، وفرق بين السامعين: كثر المال على "الصديق" و "ثعلبة" ووقه التفاوت بين "البخل والتخلل".

وليس كلُّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّيِّعُ أما حب الدنيا عندك فراسخ، وأما قلبك من الموعظة فعلى فراسخ، وإذا غلب الهوى فمن ينتبه؟ وإذا غاب القلب فمن يحدث؟

إِذَا كَانَ قَلْبِي مَوْثِقًا بِحِبَالِكُمْ      وَجِسْمِي لَدَيْكُمْ كَيْفَ أَفْهَمُ عَنْكُمْ؟

فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَعْدُلُوا فَتَوَصَّلُوا      إِلَى أَنْ تُعِيدُوا الْقَلْبَ ثُمَّ تَكَلِّمُوا

## الفصل الحادي والأربعون

### إحياء القلوب بالعبرات

يا جامد العين اليوم، غدا تدنو الشمس إلى الرؤوس، فتنتفح أفواه مسام العروق، فبكي كل شعرة بعينس. كأنك بالسماء قد نفضت أكمامها لسرعة فورانها، وانتشرت النجوم، و "يوسف" الهيبية قد برز، فقد قميص الكون.

نفحة فم الريح تحرك الشجر، ونفحة من في الصور تعمل في الصور، نفحة من الصور أماتت، والأخرى أعاشت، لا تعجبوا فإن نفحة نفحة الشتاء في صور البرد أماتت صور الأشجار، ونفس الربيع اعاد الروح.

ريح الدنيا بين مثير ولاقح، وريح الصور تثير الأبدان، وتلقح أشباح الأرواح لقراءة دفاتر الأعمال. كان "الفضيل" ميتا بالجهل، و "ابن أدهم" مقتولا بالهوى، و "السبي" هالكا بالمال، و "الشبلي" من جند "الجنيد" فنفخ في صور التوفيق، فانشقت عنهم قبور الغفلة، فصاح "إسرافيل" الاعتبار "كذلك يحيي الله الموتى".



إنما سمع "الفضيل" آية فذلت بما نفسه واستكانت، وهي كانت، إنما زجر "ابن أدهم" بموعظة واحدة، هاتف عاتبه، ولائم لأمه، أخرجته من "بلخ" إلى الشام. كانت عقدة قلوبهم أنشودة، ومشد قلبك كله عقد، أقبلت المواعظ إلى ندى قلب رياض القلوب، فالتقى الماء. كانت الأعمال تعرض عليهم فيرون الخيانة نقض عهد الزهد.

**حَلَفْتُ بِدِينِ الْحُبِّ لَا خُنْتُ عَهْدَكُمْ وَتِلْكَ يَمِينٌ لَوْ عَرَفَتْ غَمُوسٌ**

كان "الفضيل بن عياض" قد تعود البكاء، فكان يبكي في نومه حتى ينتبه أهل داره. وكان "ابن أدهم" من شدة خوفه يبول الدم، وكذلك "سري". إذا خرجت القلوب بالتوبة من حصر الهوى إلى بيداء التفكير جرت خيول الدموع في حلبات الوجد، كالمرسلات عرفا.

إذا استقام زرع الفكر قامت العبرات تسقي ونهضت الزفرات تحصد، ودارت رحي التحير تطحن، واضطربت نيران القلق فحصلت للقلوب ملة تتقوئها في سفر الحب. اسبحوا بجرمة الوفاء، فما كل وقت يطلع "سهيل" طالما أتمت قلوبكم بالهوى، فأحيوها اليوم بوابل العبرات، إذا خرجتم عن المجلس فلا تذهبوا إلى البيوت، واطلبوا هذه المساجد خراب، وضعوا وجوهكم على التراب، "واستغيثوا بألسنة الفاقة من قلوب قد أحرقتها الأسف على ضياع العمر في الهوى والبطالة" فإنه إذا صعد نفس "يعقوب" الحزن لم ينتبه دون جمال "يوسف".

**وَإِنْ شِفَائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَرَسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ**

## الفصل الثاني والأربعون

### الشيب علامة النهاية

يامن مطية عمره قد أنضاهها الحرص، هلا كفتها قليلا بزمام القناعة؟ فرب جد أعطب، ورب أكلة تمنع أكالات، وكثرة الماء شرق أو عزق؟ أحل بنفسك في بيت العزلة، واستعن عليها بعدول اللوم، ونادها بلسان التوبيخ، إلى كم؟ وحتى ومتى؟ ألم يأن؟ ويحك!! سرق لص الشيب رأس مال الشباب.

**فَأَصْبَحْتُ مُفْلِسَ الْعُمْرِ فَهَلْ لِي الْيَوْمَ إِلَّا زَفْرَةٌ النَّدَمِ**

يا نفس: ذهب عرش "بلقيس، وبلى جمال "شيرين" وتمزق فرش "بوران" وبقي نسك "رابعة". كانت أيام الشباب كفصل الربيع، وساعاته كأيام التشريق، والعيش فيه كيوم العيد، فأقبل الشيب يعد

بالفناء، ويوعد بصفر الإناء، فأرخی مشدود أطناب العمر، ونقض مشيد سرائر القوى.  
أدیل ضعف الشيب على الشباب فعمل معول الوهن وراء الجلد في الجلد، فصار مربع الحياة قفرا قد  
خلت بطاحه، ومربع اللهو هباء تذرره الرياح، وإن الهالك من ضل في آخر سفره وقد قارب المنزل، أبقى  
بعد الشيب منزل غير البلى؟ بلى أنت تدري أين تنزل.  
مرحلة الشيب تحط على شفير القبر، وقد اتخذت من رأي الهوى حصنا، فما هذا الأمل؟.  
اتطلب ربيع وأنت في ذي القعدة؟! اللذة سلاف ولكن مزاجها زعاف، الهوى عارف في العاجلة، ونار في  
الآجلة، ومن تبصر تبصر.  
أیظن الخائض في الدنيا أن له فراغا عنها؟؟ هيهات، ما يفرغ منها إلا من اطرحها.

**فَمَا قَضَى أَحَدًا مِنْهَا لِبَانَتَهُ      وَلَا انْتَهَى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ**

أيتوهم المسوف بالتوبة أن لمرحلة الهوى آخر؟ كلا؛ إن الذي يقطعه عن الإنابة اليوم معه في غد، وما  
يزيده مرور الأيام إلا رسوخا بدليل: "يشيب ابن آدم" وتشيب معه خصلتان.

**يَطْلُبُ الْمَرْءُ أَنْ يَنَالَ رِضَاهُ      وَرِضَاهُ فِي حَاجَةٍ لَا تُتَالُ**

وإنما وجد الراحة في الدنيا من خلاها لا من خالها، لاح لهم عيها، فما ضيعوا الزمان في السوم، بلغتهم  
خطوات الرياضة إلى الرياض فاستوطنوا فردوس الأنس في قلة طور الطلب.  
يا مؤثرا على بساتين القوم مقابر النوم: ليس في طريق الوصال تعب، إنما التعب ما دام في النفس بقية من  
الهوى، الظلمة ليل لا ليلي.

**يَا لَيْلُ مَا جِئْتِكُمْ زَائِرًا      إِلَّا وَجَدْتِ الْأَرْضَ تُطْوِي لِي**

**وَلَا انْتَهَى قَصْدِي عَنْ بَابِكُمْ      إِلَّا تَعَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي**

المنحرف ضال عن الجادة، طر بجناح الخوف والرجاء من وكر الكسل على خط مستقيم الجد لا تعدل  
فيه عن العدل، فإذا أنت في مقعد صدق.

الفصل الثالث والأربعون صفات العابدين وقت العارف جد كله، لعلمه بشرف الزمان، والنهار مطالب  
بحق الملك، والليل يقتضي دين الحب، فلا وجه للراحة.

لما عاينت أبصار البصائر "يوسف" العواقب، قطعت أيدي الهوى بسكين الشوق، فولوج الجمل في سم

الخياط، أسهل من دخول اللوم في تلك الأسماع، فإذا حان حين الحين فرح سائر الليل بقطع المتزل،  
وصاحت ألسنة الجد بالعاذلين "فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ".

قُلُوبٌ أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الصَّبْرَ عَنْهُمَا ثَمَانُ الْمَعَالِي غَالِيَةً فَكَيْفَ يَسْتَامُهَا مَفْلَسٌ

وَكَيْفَ يُحَازُ الْحَمْدُ وَالْوَفْرُ

وَافِرُ

وَكَيْفَ يُنَالُ الْمَجْدُ وَالْجِسْمُ وَادِعُ

كلما تعاضمت الهمم تصاغرت الجثث.

وَلَسْتَ تَرَى الْأَجْسَامَ وَهِيَ ضَيِّئَةٌ نَوَاحِلُ إِلَّا وَالنَّفُوسُ كِبَارُ

قال "يحيى بن معاذ": لتكن الخلوة بيتك، والمناجاة حديثك، فإما أن تموت بدائك، أو تصل إلى دوائك.

لَا تَزَلْ بِي عَنِ الْعَقِيقِ فِيهِهِ وَطَرِي إِنْ قَضَيْتَهُ أَوْ نَحْبِي

لَا رَعَيْتَ السُّوَامَ إِنْ قُلْتَ لِلصُّحْبَةِ خَفِي عَنِّي وَلَلْعَيْنُ هُبِّي

دخلوا على "أبي بكر النهشلي" وهو في السوق يركع ويسجد، ودخلوا على "الجنيد" وهو في الترع وهو يصلي، فسلموا عليه، فرد السلام وقال: هذا وقت يؤخذ منه: الله أكبر.

إِذَا اشْتَغَلَ اللَّاهُونَ عَنْكَ بِشُغْلِهِمْ جَعَلْتَ اشْتِغَالِي فِيكَ يَا مُنْتَهَى شُغْلِي

فَمَنْ لِي بِأَنَّ أَلْقَاكَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَمَنْ لِي بِأَنَّ أَلْقَاكَ وَالْكَلُّ بِي مِنْ لِي

دارت قلوبهم من الخوف دوران الكرة تحت الصولجان، فلعبت بها أكف الأشجان في فلوات الحجة، فمن بين سكران ييث، وبين منبسط يقول، وبين خائف يستجير.

إِذَا لَعِبَ الرَّجَالُ بِكُلِّ فَنٍّ رَأَيْتَ الْحَبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ

نجائب أبدانهم أنضاهها سير الرياضة، تجوهرت أرواحهم في بوتقة الجسم، فترافقا في سفر الشوق، فاللسان مشغول بالذكر، والسر مغلوب بالوجد، والعين عبرى بالخوف، والنفس هاربة إلى دار الزهد.

إِنَّمَا أَهْرَبُ مِمَّا حَلَّ بِي مِنْكَ إِلَيْكَ

أَنْتَ لَوْ تَطَلَّبَ رَوْحِي قُلْتَ هَاخُذْهَا إِلَيْكَ

كان الحسن كأنه حديث عهد بمصيبة، وكان "مالك بن دينار" قد سوّد طريق الدمع في خده.

وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سَرَّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يُكْتَمُ؟

كان "عطاء السلمي" يبكي في غرفته حتى تجري دموعه في الميزاب إلى الطريق، فقطرت دموعه يوما فصاح رجل: يا أهل الدار: ماؤكم طاهر؟ فقال "عطاء": اغسله فإنه دمع من عصي الله تعالى. كان "داود" عليه السلام يؤتى بالإناء ناقصا فلا يشربه حتى يتمه بدموعه.

يا ساقِي القَوْمِ إنِ دارَتِ إليَّ فلا تَمزِجْ فإني بدمعي مازِجٌ كاسي

## الفصل الرابع والأربعون

### الغراب والعنكبوت

يا مستفتحا أبواب المعاش بغير مفتاح التقوى، كيف توسع طريق الخطايا وتشكو ضيق الرزق؟ لو اتقيت ما عسر عليك مطلوب، مفتاح التقوى يقع على كل باب، ما دام المتقي على صفاء التقى لا يلقى إذن أذى، فإذا انحرف عن التقى التقى بالكدر.

فلما توليتم عنا تولينا لا تزال بحار النعم على الخلق في الزيادة "حتى يُغيروا ما بأنفسهم".

ويحك: إنما خلقت الدنيا لك، أفبيخل عليك بما هو ملكك؟ إنما في طبعك شره، والحمية أرفق.

يا أعز المخلوقات علينا: ارض بتدبيرنا، فالحب لا يتهم، وإنعامنا على ما خلق لك لا يخفى عليك، فكيف ننساك وأنت الأصل؟.

ليس العجب تغذي المولود في حال الحمل بدم الحيض لاتصاله بالحي؛ إنما العجب أن البيضة إذا انفصلت من الدجاجة فمن البياض يخلق الفرخ، وبالبح يتغذى، قد أعطي المخلوق زاده قبل سفر الوجود.

إذا انفقات بيضة الغراب خرج الفرخ أبيض، فتفتر عنه الأم لمباينته لونها، فيبقى مفتح الفم، والقدر يسوق إلى فيه الذباب، فلا يزال يتغذى به حتى يسود لونه فتعود إليه الأم.

فانظروا إلى نائب اللطف، وتلمحوا شفقة طير الرحمة، ألهم النملة ادخار القوت، ثم ألهمها كسر الحب قبل ادخاره كيلا ينبت، والكسيرة، وإن كسرت قطعتين تنبت فهي تكسرها أربعا.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

لو رأيت العنكبوت حين تبني بيتها لشاهدت صنعة تعجز المهندس، إنما تطلب موضعين متقاربين، بينهما فرجة يمكنها مد الخيط إليها، ثم تلقي لعابها على الجانبين، فإذا أحكمت المعاهد وربت القمط كالسدادة اشتغلت باللحمة، فيظن الظان أن نسجها عبث، كلا، إنها شبكة للبق والذباب، وإنما إذا أتمت النسيج انزوت إلى زاوية ترصد رصد الصائد، فإذا وقع في الشبكة شيء قامت تجني ثمار كسبها، فإذا أعجزها

الصيد طلبت لنفسها زاوية، ووصلت بين طرفيها بخيط آخر، وتنكست في الهواء تنتظر ذبابة تمر بها، فإذا دنت منها رمت نفسها إليها فأخذتها، واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجليها!! افتراها علمت هذه الصنعة بنفسها؟ أو قرأها على أبناء جنسها؟ أفلا تنظر إلى حكمة من علمها؟ وصنعة من فهمها؟. لقد نادى عجائب المخلوقات على نفسها ترشد الغافلين إلى باب الصانع، غير أنهم عن السمع لمعزولون.

## الفصل الخامس والأربعون

### أسفار الحياة

خلقتنا نتقلب في "سته" أسفار إلى أن يتسقر بالقوم المتزل: السفر الأول: سفر السلالة من الطين، السفر الثاني: سفر النطفة من الظهر إلى البطن، السفر الثالث: من البطن إلى الدنيا، الرابع: من الدنيا إلى القبور، الخامس: من القبور إلى العرض، السادس: من العرض إلى منزل الإقامة. فقد قطعنا نصف السفر، وما بعد أصعب. إخواني: السنون مراحل، والشهور فرائس، والأيام أميال، والأنفاس خطوات، والطاعات رؤوس أموال، والمعاصي قطاع الطريق، والريح الجنة، والخسران النار، ولهذا الخطب ثمر الصالحون عن سوق الجد في سوق المعاملة، وودعوا بالكلية ملاذ النفس. كلما رأوا مركب الحياة يتخطف في بحر العمر، شغلهم ما هم فيه عن عجائب البحر، فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر، فاعتنقتهم الراحة في طريق التلقي، فدخلوا بلد الوصل، وقد حازوا ربح الدهر. يا جبان العزم: لو فتحت عين البصيرة فرأيت بإنسان الفكر ما نالوا، لصاح لسان التلهف: يا ليتني كنت معهم، وأين الأرض من سهوة السماء؟؟. ألا أنت والله منهم ولا تدري من هم.

يا قلبُ من نجدٍ وساكِنه  
أهفوا إلى الرملِ تعلو لي ركائبُهُم  
خَلَفْتَ نَجْدًا وَرَاءَ المُدَلِّجِ السَّارِي  
تَفُوحُ أرواحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِم  
مِنَ الحُمَى فِي أُسَيْحاقٍ وَأَطْمَارِي  
يَا رَاكِبَانَ قِفَالِي فاقضيا وَطَرِي  
عِنْدَ القُدُومِ لِقُربِ العَهْدِ بِالدارِ  
هَلْ رُوِّضَتْ قَاعَةَ الوَعَساءِ أَوْ مُطِرَتْ  
وَخَبَّرَانِي عَن نَجْدٍ بِأَخْبَارِ  
أَمْ هَلْ أبيتَ وَدارِي عِنْدَ كاظِمَةِ  
خَمِيلَةَ الطَّلَحِ ذاتِ البانِ وَالغارِ  
دارِي وَسَمَّارُ ذاكِ الحَيِّ سَمَارِي

فَلَمْ يَزَالاً إِلَى أَنْ نَمَّ بِي نَفْسِي      وَحَدَّثَ الرَّكْبُ عَنِّي دَمْعِي الْجَارِي

ويحك: في صناديق هذه الأيام أودعت بضائع القوم، في هذه المزرعة المحلاة بذروا حبَّ الحب، فإذا حصدوا نادي بك هاتف اللوم: في الصيف ضيعت اللبن. كُشِفَتْ عن عيونهم حجب الفعلة، فنظروا بلا معاينة، وخاطبوا بلا مشافهة. تراه بالشوق عيني وهو محجوب أنضوا رواحل الأبدان في سفر المحبة، حتى بلغوا منى المنى قبل فوات الوقفة "تلك أمةٌ قد خَلَّتْ".

بَانُوا وَخَلَّفَتْ أَبْكَى فِي دِيَارِهِمْ      قُلْ لِلدِّيَارِ سَقَاكَ الرَّائِحُ الْغَادِي  
وَقُلْ لِأَطْعَانِهِمْ حُبَيْبٌ مِّنْ طُعْنٍ      وَقُلْ لِيُوَادِيهِمْ حُبَيْبٌ مِّنْ وَادِي

دخل رجل ناحل الجسم على "عمر بن عبد العزيز" فقال له: مالك هكذا؟ فقال: ذقت حلاوة الدنيا فرأيتها مرارة، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهارى، وذلك قليل في جنب ثواب الله وعقابه.

أَمِيرُ الْهَوَى مِنْ هَوَا      لَكَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ  
تَسْرِبَلُ ثَوْبُ الضَّنَا      عَلَى بُدْنٍ نَاحِلٍ

ذابت قلوبهم بنيران الخوف، فأحرقت موطن الهوى، واضفرت الألوان لقوة الحذر فتنكست رؤوس الخجل، فإذا أردت أن تعرف أحوالهم فاسمع حديث النفس بين النفس.

خُذِي حَدِيثَكَ فِي نَفْسِي مِنَ النَّفْسِ      وَجِدْ الْمَشُوقِ الْمَعْنَى غَيْرُ مُلْتَبِسِ  
الْمَاءُ فِي نَاطِرِي وَالنَّارُ فِي كَبْدِي      إِنْ شِئْتَ فَاغْتَرِّفِي أَوْ شِئْتَ فَاقْتَبِسِي

## الفصل السادس والأربعون

### العجز والتواني

لما وقع الأولياء في ظلمات الدنيا قطعوا بالجهاد مفاوز الهوى، أضاءت لهم سبل السلامة فتعارف القوم في طريق الصحة، إن أضاء لهم برق الرجاء مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم ليل الخوف قاموا، فالقوم لا يخرجون من حيز الحيرة، لو رأيتموهم لقلتم مجانين.

إِذَا كُنْتَ خَلَوًا فاعْذُرْ فِي الْهَوَى      فَمَا الْمُبْتَلَى وَالْمُسْتَرِيحُ سِوَاءُ

أَلَا إِنَّ قَلْبَ الصَّبِّ فِي يَدٍ غَيْرِهِ      يُصْرَفُهُ وَسَنَى وَالْفُؤَادُ هَبَاءُ

كربُ المحبِّ بالنهار يشتد بمزاحمة رقباء المخاطبة، فلبيل باله في قفص كتمان حاله، فإذا هبت نسائم  
الأسحار وجدت روحه روحا يصل من قصر مصر المنى، إلى أرض كنعان الأمل، فقام ركب الشوق  
يتحسس النسيم من فرج الفرج، وله وله.

تُزاورنَ عَ، أذْرُعَاتِ يَمِينَا      نواشِرُ لَسَنِ يَطِنَ البُرِينَا

كُلْفِنَ بِنَجْدِ كَأَنَّ الرِّيَاضَ      أَخَذْنَ لِنَجْدِ عَلَيَّهَا يَمِينَا

إِذَا جِئْتُمَا بَانَةَ الوَادِيَيْنِ      فأرْحُوا النَّسُوعَ وَحَلُّوا الوَضِينَا

فَتَمَّ عَلَاتِقُ مِنْ أَجْلِهَا      مِلءُ الدُّجَى وَالضُّحَى قَدْ طَوِينَا

وَقَدْ أَنْبَأْتُهُمْ مِيَاهَ الجُفُونِ      بِأَنَّ بِقَلْبِكَ دَاءً دَفِينَا

إخواني: فمار الحزين كالليل، وليل المطرود كالنهار، يا أعمى عن طريق القوم، أنا مشغول بإصلاح عينك،  
فيذا استوت أرشدتك الطريق، هذا أمر لا ينكشف للقلوب المظلمة برين الهوى، حتى يجلوها صيقل  
المجاهدة، أرض مشحونة بشوك الذنوب فلو قد أسلمتها إلى الزارع رأيتها قد تغيرت "يوم تُبدلُ الأرضُ  
غيرَ الأرضِ".

ويحك: بين العجز والتواني نتجت الفاقة.

كان القوم إذا سمعوا موعظة غرست نخل العزائم، ونبات قلبك عند المواعظ نبات الكشوئي.

واعجباً!! لمن أصف القوم؟ أراي أتلو سورة "يوسف" على "روبييل" كم بين ثالثة الأثافي وسادسة

الأصابع. يا مطرودا ما يشعر بالطرد، إنما يجد وقع السياط من له حس، تالله لو أفلقك الحجر ما سكنت

دار الراحة، أنت والكسل كندماني "جذيمة" وليت صوت هذا الهاتف وصل إلى سمع القلب.

يا له من عتاب لو كان للمعتاب فهم، لقد نفخت لو كان فحم، وأسفا مرعى ولا أكلة، سور تقواك

كثير الثلم، والأعداء قد أحاطوا بالبلد، صحح نقد عملك، فقد انقضت أيام أسبوعك، جود قبل

الحساب انتقادك، فلا مسامح قبل الوزن، ويك قبل الومن، ويك قبل الرمي، تراش السهام، وعند النطاح

يغلب الأجم، ويحك: قد دنا رحيلك، وليس في مزود عملك ثمرات تطفئ نار جوعك، ولا في مزادتك

قطرات تسكن وقد هجيرك، فالجد الجد في الإستظهار لطول الطريق، عش ولا تغتر.

يا منقطعاً في بادية الهوى عن الرفقاء، إلحق الركب فالأمير يراعي الساقية، سر من غير توقف ولو تقطعت

أقدام الطلب، فإذا أدركتك قافلة التعب - أيها المنقطع في ظل حائط منقطع - فصوت باستغاثة متحير.

يا راهب الدير هل مرت بك الإبل يا أسف من لا ينفعه إن تأسف، لعبت بوقته أيدي التواني فضاع،  
فصمت عرى عمره كف المشيب ففات.

يَعِزُّ عَلَيَّ فِرَاقِي لَكُمْ وَإِنْ كَانَ سَهْلًا عَلَيْكُمْ يَسِيرًا

يا قوام الليل اشفعوا في راقد، يا أحياء القلوب ترحموا على ميت، سا سفراء الطلب احملوا رسالة محصر.  
خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحمى

أَيَا رِفْقَةً مِنْ أَرْضِ بَصْرَى تَحْمَلْتِ تَوْمَ الْحَمَى لَقِيتِ مِنْ رِفْقَةٍ رَشْدًا  
إِذَا مَا بَلِغْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلِغُوا تَحِيَّةً مِنْ قَدْ ظَنَّ أَنْ لَا يَرَى نَجْدًا

## الفصل السابع والأربعون

### في ذم إبليس

إخواني: العناية غنى الأبد، لما سبق الإختيار في القدم للطين المنهبط صعد على النار المرتفعة، فعلمت جهنم  
أن المخلوقات منها، لما قاوم التراب كانت الغلبة للتراب، وكفاها ما جرى عبرة، والسعيد من وعظ  
بغيره، فإذا مر المؤمن عليها أسلمت من غير جدال، وقالت: "جز فقد أطفأ نورك لهي".  
مصاييح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع، كقلب "قس" "يكاذُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَكَوَلَمَ  
تَمَسَّسُهُ نَارٌ" لاح مصباح الهوى من سحجف دار الخيزران، فإذا "عمر" على الباب.  
ولما عميت بصيرة إبليس صار نهار الهدى عنده ليلا، كان في عين بصيرته سبل، فما نفعه اتضاح السبل،  
رجع الخفاش إلى عشه فقال لأهله: أوكروا، فقد جن الليل، فقالوا: الآن طلعت الشمس، وأنت تقول:  
جن الليل، فقال: ارحموا من طلوع الشمس عنده ليل.

لما أضاءت أنوار النبوة رأتهما عين "بلال الحبشي" وعميت عنها عين "أبي طالب" القرشي. إخواني: احذروا  
نبال القدرة، وهيئات لا ينفع الحذر، فإن صلح شيء من باب الكسب فاللحاء أعوذ بك منك، أين القلق  
والقلوب بين أصبعين".

إن القضاة إذا ما حوصموا غلبوا كان إبليس كالبلدة العامرة بالعبادة، فوقعت فيها صاعقة الشتاء، فهلك  
أهلها "فَتَلَكَ يُبُوْثُهُمْ حَاوِيَةٌ بِمَا كَسَبُوا".

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوِصَالِ أَهْلًا فَكُلُّ إِحْسَانِهِ ذَنْبٌ



أخذ كساء ترهبه، فجعل جلال كلب أهل الكهف، فأخذ المسكين في عداوة الآدمي فكم بالغ واجتهد، وأبى الله إلا أن لا يقع في البئر إلا من حفر.

ويحك: ما ذنب الآدمي وأنت جنيت على نفسك؟ ولكنه غيظ الأسير على القدر، إنما هلك إبليس بكبر "أنا خيرٌ منه" وسلم "آدم" بذل "ظلمنا أنفسنا" ومقام العبودية لا يحتمل إلا الذل.

### كَلَّمَا رَاعَنِي بِعِزِّ الْمَوَالِي جِئْتُهُ خَاضِعًا بِذَلِّ الْعَبِيدِ

المسكين إبليس ظن أنه قد حاز بامتناعه عن السجود عزا، فوقع في ذل "وَأَنَّ عَلَيْهِ لَعْنَتِي" فكأنه فر من المطر إلى الميزاب، كانت خلعة العبادة لا تليق به فترعت عنه.

### إِلَّا رَبًّا جَيِّدًا لَا يَلِيْقُ بِهِ الْعَقْدُ

كان أعجمي الفهم فما لاقت به حلية التعبد، وكان "آدم" عربيا فما حسنت عليه قلنسوة الخلاف، أخرجهما قسر القدر لبيان ملك التصرف، ثم رد كل إلى معدنه.

### إِن الْأَصُولَ عَلَيْهَا تَنْبُتُ الشَّجَرُ

لقي إبليس "عمر بن الخطاب" فصرعه "عمر" فقال بلسان الحال: يا عمر أنا المقتول بسيف الخذلان قبلك.

### بِي النَّاسِ أَدْوَاءُ الْهَيْامِ شَرِبْتُهُ فَيَاكَ عَنِي لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا

يا عمر: أنت الذي كنت في زمن الخطاب لا تعرف طريق الباب، وأنا الذي كنت في سدة السيادة، وأتباعي الملائكة، فوصل منشور "لا يُسأل" فعزلي وولاك، فكن على حذر من تغير الحال، فإن الحسام الصقيل الذي قتلت به في يد القاتل، فلما لعبت أيدي القلق "بعمر" بادر طريق باب البريد بالعزل والولاية: يا حذيفة يا حذيفة.

## الفصل الثامن والأربعون

### في العزلة

المؤمن على طهارة التوحيد من يوم "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" غير أنه لما خالط أوساخ الهوى تدنس ثياب معاملته، وليس لها تنظيف إلا بماء العلم في بيت العزلة.

العزلة رأس الحمية من الدنيا، تحيط عين بازي الهوى فيألف الفطام على الطيران، والعزلة صحراء خالية عن بقاع يا سرعة إبصار الهلاك فيها لذي بصر، قل غرس حلوة إلا وعليها ثمرة الأنس.

أيها المبتدئ: عليك بالعزلة، فإنها أصل العمل، تضم شتات قلبك، وتحفظ ما لفقت من خصال يقظتك، فإن حالك كمرقعة بالية، إن تحركت فيها تمزقت. إذا جرى القدر باجتماع العقل واليقين في بيت الفكر أخذ في تويخ الأمانة، فإن كان زمن المرض قد انقضى، أثر اللوم ثوران العزيمة إلى قطع القواطع، فحينئذ تكتب النفس بكف الحجر طلاق الهوى، وتتجلبب زرمانقة الزهد، وترهبين في دير العزوف، فتستوحش من أهل الدنيا شغلا بصحبة "أنا جليس من ذكري".

يا من قد ضاع "يوسف" قلبه، جز بجيم القوم لعلك تجد ريح "يوسف" قف في السحر على أقدام الذل وقل "يا أيها العزيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ" يا مخذول التواني، يا مجدوع الأمان، غرق مركب عمرك في بحر الكسل، ويحك: من لازم المنام لم ير إلا الأحلام متى تفتح عين عزمك؟ فيا طول هذا الكرى، أما تستنشق ريح السحر؟ أما تجد برد هواء الفجر؟ أما تعانين ضوء الشيب؟ أما يؤلمك عتاب الدهر؟

تَنْبَهِي يَا عَذْبَاتِ الرَّيْدِ كَمْ ذَا الْكَرَى هَبَّ نَسِيمُ نَجْدِ

أَعْلَلِ الْقَلْبَ بِيَانِ رَامَةٍ وَمَا يَنْوِبُ غُصْنٌ عَنِ قَدِّ

وَاقْتَضَى النَّوْحُ حَمَامَاتِ اللَّوَى هَيْهَاتَ مَا عِنْدَ اللَّوَى عِنْدِي

رحل ركب المحبة على أكوار العزائم، فصبحوا منزل الوصل وأنت نائم بعد يا "عمر" العزم: إلى كم في دار الخيزران، يا "فضيل" المحبة متى تكسر سيف الفضول؟ يا "ابن أدهم" الجدد: دخلت شهور الحج فما قعودك "بلخ".

هَلْ لَكَ بِالنَّازِلِينَ أَرْضَ مَنِيَّ يَا عِلْمُ الشَّوْقِ بَعْدَنَا عِلْمُ

## الفصل التاسع والأربعون

### الذين سبقت لهم منا الحسنى

إذا وقت عزيمة الإنابة في قلب من سبقت لهم الحسنى قلعت قواعد الهوى من مشتاة الأمل، ركب "إبراهيم" يوما للصيد، وقد نصب له فخ "يهديهم ربهم" حوله حب "يحبهم" فصيد قبل أن يصيد. عبر ترجمان الهوى عن لغة "سبقت لهم" فقال: ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، رماه الطيب وقت انقضاء المرض، فسقاه دواء مفردا، فنفض به قولنج الهوى، رماه بسهم مواعظ ألقته عن قربوسه وبؤسه، لاحت له نار الهدى، فصاح في جنود الهوى: "إني آنستُ ناراً" فتجلى له انيس تجديني فاستحضره، فغاب عن

وجوده، فلما أفاق من صعقة وجده، وقد دك طور نفسه، صاح لسان الإنابة بعبارة الإصابة "تُبْتُ إِلَيْكَ"  
فلما خرج عن ديار الغفلة أو مأت اليقظة إلى الهوى:

سَلَامٌ عَلَى اللذاتِ وَاللهوِ وَالصبا  
سَلَامٌ وَدَاعٍ لا سَلَامٌ قُدُومِ

يا "ابن أدهم": لو عدت إلى قصرك، فتعبدت فيه، قال العزم: كلا، ليس للمبتوتة نفقة ولا سكنى.

أَحْنُ إِلَى الرَمْلِ اليماني صَبَابَةٌ  
وَهَذَا العَمري لَوْ رَضِيْتُ كَثِيبُ

وَلَوْ أَنَّ ما بي بِالْحَصَى فَلَقُ الحَصَى  
وَبِالرَّيحِ لَمْ يُسْمَعِ لَهْنٌ هُبُوبُ

هام في بيداء وجده، فاستراح من عدول أمرضته التخم، فاستلذ طعم طعام الجوع، وحمل جلده على  
ضعف جلده خشونة بالصوف.

ظَفِرْتُمْ بِكِتْمَانِ اللسانِ فَمَنْ لَكُمْ  
بِكِتْمَانِ عَيْنِ دَمْعُهَا يَذْرِفُ

حَمَلْتُمْ جِبَالَ الحُبِّ فَوْقِي وَإِنِّي  
لَأَعْجِزُ عَنِ حَمْلِ القَميصِ وَأَضْعَفُ

لاح له جمال الآخرة من خلال سحف "لَتَهْدِيَهُمْ" فتمكن الحب من حبة القلب، فقام يسعى في جمع المهر  
من كسب الفقر.

طال عليه انتظار اللقاء، فصار ناطور البساتين.

تفاضته المحبة بياقي دينها، فسلم الروح في الغربية، هذا ثمن الجنة، فتأخر يا مفلس.

## الفصل الخمسون

### الحزم مطية النجاح

إخواني: في الأعداء كثرة، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، قاتلوا بسلاح العزائم "حتى لا تكون فتنة"  
فمتى حمل عليهم فارس حد "غلبوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صاغرين" إخواني: من تلمح حلاوة العواقب نسي  
مرارة الصبر.

الغاية أول في التقدير، آخر في الوجود، مبدأ في نظر العقل، منتهى في منازل الوصول.

إخواني: عليكم بطلب الجنة، فإن النار وسط الكف، شهوات الدنيا مصائد تقطع عن الوصول، فإذا  
بطلت الشهوات بحلول الموت أحس الهالك بما لم يكن يدري، كما أن خوف المبارز يشغله عن ألم  
الجراح، فإذا عاد إلى المأمن زاد الألم، فإذا ماتوا انتبهوا.

كما شَبِعْتُمْ قَرِيباً، وَرَمَيْتُمُوهُ سَلِيباً، وَتَرَكَتُمُوهُ وَأَسْمَعَكُمْ مِنَ الْوَعْظِ عَجِيباً "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ".

تالله إن الزاد لطيف، وإن المزاد لخفيف، مع أن الأمر جد، والخطب إد، إن الحازم لا يترك الحذر حتى يصل المأمّن.

لما اعترض إبليس "لأحمد" قال: فتني، قال: لا بعد.

لا فرح بوصول الكوفة وما عبرت العقبة، الطمع مركب التلف، والحزم مطية النجع، والتواني أبو الفاقة، والبطالة أم الخسران، وما يحصل برد العيس إلا بحر التعب.

### ما العز إلا تحت ثوب الكد

إخواني: ذهب والله في التفريط العمر، غفل الوصي فضيع مال الطفل، مصيبتنا في التفريط واحدة.

أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَا هُنَا      وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

رحل ركب المحبة في ظلام الدجى، فصبح القوم المتزل، ونحن على غير الطريق. وأسفا من قلة الأسف، واحزنه على عدم الحزن، قفوا على آثار السالكين فاندبوا المنقطع.

لَيْسَتْ بِأَطْلَالِي وَلَكِنَّهَا      رُسُومٌ أَحْبَابِي فَنُوحُوا مَعِي

يَا سَاكِنًا بِالْبَلَدِ الْبَلَقَعِ      وَيَا دِيَارَ الظَّاعِنِينَ إِسْمَعِي

يا ديار الأحباب: أين سكانك؟ يا مرابع الأحباب: أين قطانك؟

هَا إِنَّهَا مَنَازِلٌ تَعَوَّدَتْ      مِنْي إِذَا شَارَقْتُهَا التَّسْلِيمَا

يَا نَفْحَةَ الشِّمَالِ مَنْ تَلْقَائِهَا      رُدِّي عَلَيَّ ذَاكَ النَّسِيمَا

يا متخلفا ما جاء مع المعتذرين: رحل الركب في زمان رقادك، فإذا قمت من الكرى فأقم مأتم الندب، قف على الرسوم وابك على انقطاعك، لعلك تؤنس رفيق "تجدي".

إِذَا جُزْتَ بِالْغُورِ عَرَّجَ يَمِينًا      فَقَدْ أَخَذَ الشُّوقُ مِنَّا يَمِينَا

وَسَلَّمَ عَلَيَّ بَانَةَ الْوَادِيَيْنِ      فَإِنْ سَمِعْتَ أَوْشَكَتَ أَنْ تَبِينَا

فَصَحَّ فِي مَغَانِيهِمْ أَيْنَ هُمْ      وَهَيْهَاتَ أَمْوَا طَرِيقًا شَطُونَا

وَرَوَّ تَرَى أَرْضِهِمْ بِالْذُمُوعِ      وَخَلَّ الضُّلُوعَ عَلَيَّ مَا طَوِينَا

أَرَاكَ يَشُوقُكَ وَادِي الْأَرَاكِ      أَلِدَارِ تَبْكِي أُمَّ لِلْسَاكِنِينَا

سقى الله مُرَبَعَنَا بِالْحُمَى

وَإِنْ كَانَ أَوْرَثَ دَاءً دَفِينَا

## الفصل الحادي والخمسون

### عاقبة التفريط

إذا قمتم من المجلس فادخلوا دار الخلوة ساعة، وشاوروا نصيح الفكر، وحاسبوا شريك الخيانة، وتلمموا تفريط الكسل في بضاعة العمر، تأسفوا على كل ذنب كان، أو حظ من الله فات. البدار البدار نحو البقية، فيلقى المفراط ما ضاع، وليحذر الأعمور الحجر، لا تحتقر يسير الخير، فالذود إلى الذود إبل، ضلت قلوبكم في بوادي الهوى، فقوموا على أقدام الطلب، وألقوا أزمة السير إلى حادي الأسف و "تَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ". جد في نشدان ضالتك ولا تياس من روح الله، فكم شفي من أشفى على الهلاك.

وَقَفُوا وَقْفَةً لَأَنْشُدَ قَلْبِي

أَوْ رُدُّوا بِي إِلَى الْعُدَيْبِ وَحَسْبِي

قَوْتُ قَلْبِي وَحَبْدًا مِنْ مَهَبِّ

عَرَّجُوا بِالرِّفَاقِ نَحْوَ الرِّكْبِ

وَخَذُوا لِي مِنَ النَّقِيبِ لِمَاظًا

فَهَيُّوبُ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ

يَا نَسِيمَ الصَّبَا تَرَنَّمْ عَلَى الدَّوْحِ بِصَوْتِ يَشْجِي وَإِنْ طَارَ لُبِّي

مَنْ مُعِيدٌ أَيَّامَنَا بَلَوَى الْجَزَعِ وَهَيْهَاتَ أَيْنَ مِنِّي صَحْبِي

واعجبا!! ما انظر الأجساد، لكن فقد نظر القلوب، إذا لم يحركك الربيع وأزهاره، والسماع وأوتاره، فمن أنت؟ ويحك: نوح الحمام غزل، لو كان في قلبك محبة فابك بكاء "الجنيد" لعلك تقع بسر "سري" بع مال الهوى فيمن يزيد، إن شئت لحقا "أبي زيد".

كم دعتك فرصة لو كنت أحببتها، إن جناب الحق لفسيح، غير أن الجهل مطرود.

ويحك: قد لاحت نار الهدى من زناد المواعظ، فقم على أقدام الجد لعلك تجد على النار هدى.

إِنْ جَاوَزْتَ نَجْدًا فَلَسْتَ عَاشِقًا

رَكِبَ الْغَرَامِ وَزَفِيرِي سَائِقًا

لَأَيِّ مَرْمَى تَزْجُرُ الْأَيَّانِقَا

وَإِنَّمَا كَانَ بُكَائِي حَادِيَا

واعجبا من الواقفين على مواقف: إن وفقنا!! ثم لا يتعرضون بجناب التوفيق "إن يُريدونَ إلاَّ فراراً".  
ويحك: دنت عساغكر البطالة "فأنفروا خِفَافاً وَثِقَالاً" خذوا من الدنيا قدر ما يعبر القنطرة، ولعمري: إن  
ضرورات المعاش تغير وجه المراد، فيتعثر السالك "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً" هذا إن جرى القدر  
بمحبوب أو بمكروه "فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ".

دليل محبته لك في الأزل حراسة توحيده عندك، والتخويف سوط يسوق النفس عن ديار الكسل، وما  
تظنه تعذيب، ورب تقويم بالكسر، تخريق مكان الحبيب من القميص جعله قميصاً، لو لم تذبوا، صولة  
الوداد تحفظ أهل الأدب، وإن كان الحب في السويداء.  
بكت العيون وأنت طارقها

**وَدُّ تَقَادِمَ عَهْدِهِ فَصَقَا      وَجَدِيداً وَدٌّ لَيْسَ يَخْلُقُهُ**

لما ذاق آدم وحواء من الشجرة دار في دائرة التحير، فضرهما صولجان البعد فهبطا، وضارب الكرة يسعى  
بنفسه في طلبها، هل من سائل؟ هل من تائب؟

**فَلَوْلَا الْبَعْدُ مَا حُمِدَ النَّدَانِي      وَلَوْلَا الْبَيْنُ مَا طَابَ التَّلَاقِي**

يا قائما في سوق الأرباح: ماذا حصلت؟ يا منقطعاً في طريق الوصال: هلا توصلت؟ أترك اشتغلت بنا أو  
عنا؟ يا منكر، يا نكير: انزلا إلى الخارج من بساتين الأرباح في دار المعاملة، فانظر أهل استصحب شوكة  
من الشك، أووردة من اليقين اتنكها فمه الذي قال "بلى" يوم "ألست" هل غير طيبه طول رقا الغفلة؟  
هل أنجاس زلله مما يدخل قليلها تحت العفو؟ هل ثم ماء توحيده يبلغ قلتين؟ أنا مقيم له على الوفاء بكل  
حال، فانظر هل حال؟

**أَلَا حَبِذَا نَجْدٌ وَطَيْبٌ تُرَابِهِ      وَأُرُواحُهُ إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ**  
**أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ عَوَارِضَتِي قُبَا      بِطُولِ اللَّيَالِي هَلْ تَغَيَّرَتَا بَعْدِي**  
**وَعَنْ عَلَوِيَّاتِ الرِّيَّاحِ إِذَا جَرَّتْ      بِرِيحِ الْخَزَامِي هَلْ تَمَّرْتُ عَلَى نَجْدِ**

## الفصل الثاني والخمسون

### التفكير في الرحيل

من تفكر في قرب رحيله تشاغل بالتزود، ولبئس ما صنع بائع نفسه النفسية بالأعراض الخسيسة.  
إن الروح في ذاته جوهر لا يتجزأ أو لا يموت، وقدره جوهر لا قيمة له، وإنما آلات البدن خادمة له تعين

على السفر له في زجاجة القلب.

نار كالسراج، الحياة ضوءها، والدم دهنها، والحركة نورها، والشهوة حرارتها، والغضب دخانها، وقد اتخذ من مقدم الدماغ حارسا، ومن وسطه وزيرا، ومن مؤخره حافظا، وجعل العقل استادا، والحس تلميذا، وفرق الأعضاء في خدمته رجالا وركبانا، وجعل الدنيا له ميدانا يجول فيه في صف حربه لمحاربة أعدائه، فإن غلب، قهر كسرى، وإن غلب فلا أحد.

لما تيقظ تيقظ الأولياء لهذا السفر، خاضوا في ظلمات الطبع يقطعونها بأقدام المجاهدة، فلاح لهم نور الغيب "كلما أضاء لهم مشوا فيه" فإذا هم على باب الوصول، الفقر حلتهم، والليل لذهم، والخشوع صفتهم. طال حبسهم في الدنيا، فضجوا إلى الحبيب، فلو انتهت بالليل سمعت أصوات أهل الحبوس.

**في ظلالِ السَلَمَاتِ**

**بِكَلَامِ العَبْرَاتِ**

**يا وَقُوفاً ما وَقَفْنَا**

**نَنْشَاكِي ما عِنَاناً**

أطيار الأشجان في أقباص الأسرار تصيح من وجدها في الأسحار، كلما هدلت حمائم الشجون هطلت عمائم العيون، فإذا كان حين تتوفاهم الملائكة فتح القفص عن روح تطلب الروح، فتتحير لقرعة "من راق" فيهتف به هاتف الوداد "ارجعي إلى ربك" فتنسى مرارة الكأس بحلاوة الخطاب، فتهدون شذائد الموت.

فما لجرح إذا أرضاهم ألم يا بعيدا عنهم: أين أنت منهم؟ لا تحسبن الأمر سهلا، نيل سهيل أسهل، أتصقل سيفا ليس في سنحه جوهريّة؟ أتحمّل صعبا مسنا على الرياضة؟ وهل ينهض البازي بغير جناح. من لم يهتير بيسير الإشارة، لم ينفعه كثير العبارة، أترى من نبيل مواعظي مقرطس؟ بلى ربما وقعت نبلة في قلب حزين ولم يدر الرامي.

سهم أصاب وراميه بذى سلم

سر في السر على أقدام العزيمة، وليكن همك الظفر لا الغنيمة، فالعز لا يناله جبان، وإن أكتب الأقلام الأسنّة.

انتبه من رقاد الغفلة، فقد طلع ضوء الشيب، وأسرع في سير الجلد فقد رحلت الرفقة، وصوت في أودية الأسحار لعلها ترحمك الساقّة، وتلمح آثار السالكين لعلك تقع على الجادة، فإذا لحقت أعراض الركب فقف نفسك على خدمة الإبل، فرما دخلت خيمة من أحببت.

**أَكُنْ طَوْعَ أَيْدِيكُمْ كَمَا يَفْعَلُ العَبْدُ**

**وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ لِي مِنْهُمْ بُدُ**

**فَقَلَّتْ دَعْوِي وَأَتَّبَاعِي رِكَابِكُمْ**

**وَمَا بِالْزَعَمِي لَا يَهُونُ عَلَيْهِمْ**

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه  
وسلم، والحمد لله رب العالمين.



## الفهرس

2	الفصل الأول
2	في قوله تعالى هو الأول والآخر
2	الفصل الثاني
3	الفصل الثالث
5	الفصل الرابع
5	في صفة الربيع
7	الفصل الخامس
7	يذكر فيه إشارة من حال سلمان الفارسي
7	قرينان مرتعنا واحد
8	الفصل السادس
8	تتجاف جنوهم عن المضاجع
10	الفصل السابع
11	التوبة
12	الفصل الثامن
12	مجاهدة النفس
13	الفصل التاسع
13	ذم الدنيا
14	الفصل العاشر
14	العمل للأخرة
15	الفصل الحادي عشر
15	الخوف من الله تعالى
16	الفصل الثاني عشر
16	ذو البيجادين
17	الفصل الثالث عشر
17	الغفلة عن الآخرة
18	الفصل الرابع عشر
18	مداواة النفس
19	الفصل الخامس عشر
19	الإخلاص
21	الفصل السادس عشر
21	الإقبال على الله تعالى
22	الفصل السابع عشر
23	الفصل الثامن عشر
23	أعمال الملائكة

24	.....	الفصل التاسع عشر
24	.....	عزيمة الرجال
25	.....	الفصل العشرون
25	.....	الظلام والتهيه
26	.....	الفصل الحادي والعشرون
26	.....	الإنتصار على الهوى
27	.....	الفصل الثاني والعشرون
27	.....	دموع المذنبين
28	.....	الفصل الثالث والعشرون
28	.....	في ترك الشهوات
29	.....	الفصل الرابع والعشرون
29	.....	إياك والذنوب
31	.....	الفصل السادس والعشرون
31	.....	طلب العلم
32	.....	الفصل السابع والعشرون
32	.....	الدنيا لا تصلح للتوطن
33	.....	الفصل الثامن والعشرون
34	.....	اقترب للناس حسابهم
35	.....	الفصل التاسع والعشرون
35	.....	في بديع خلق الله
36	.....	الفصل الثلاثون
36	.....	الناس فقراء إلى الله تعالى
37	.....	الفصل الحادي والثلاثون
37	.....	تضرع الصالحين
38	.....	الفصل الثاني والثلاثون
38	.....	الإيمان بالقدر
39	.....	الفصل الثالث والثلاثون
39	.....	عقوبة الحرص على الدنيا
40	.....	الفصل الرابع والثلاثون
40	.....	في قيام الليل
41	.....	الفصل الخامس والثلاثون
41	.....	في علو الهمة
42	.....	الفصل السادس والثلاثون
42	.....	الحذر من النفاق
43	.....	الفصل السابع والثلاثون
43	.....	مجلس التوبة

44	الفصل الثامن والثلاثون
44	في صدق العبادة
46	الفصل التاسع والثلاثون
46	القناعة
48	الفصل الحادي والأربعون
48	إحياء القلوب بالعبادات
49	الفصل الثاني والأربعون
49	الشيب علامة النهاية
52	الفصل الرابع والأربعون
52	الغراب والعنكبوت
53	الفصل الخامس والأربعون
53	أسفار الحياة
54	الفصل السادس والأربعون
54	العجز والتواني
56	الفصل السابع والأربعون
56	في ذم إبليس
57	الفصل الثامن والأربعون
57	في العزلة
58	الفصل التاسع والأربعون
58	الذين سبق لهم منا الحسن
59	الفصل الخمسون
59	الحزم مطية النجاح
61	الفصل الحادي والخمسون
61	عاقبة التفريط
62	الفصل الثاني والخمسون
62	التفكير في الرحيل

[To PDF: http://www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)